مسرحيات عالمية

الأشجار تموت واقفة

تأليف : اليخاندرو كاسونا

ترجمة وتقديم : محمود علي مكي

مراجعة : [illegible]

مسرحيات عالمية

وزارة الثقافة
المؤسسة المصرية العامة للتأليف و النشر
دار الكاتب العربي

العدد ٦٥
المكتبة العربية
الترجمة
الثمن ١٠ ص

مسرحيات عالمية

الأشجار تموت واقفة

تأليف : اليخاندرو كاسونا
ترجمة وتقديم : د . محمود على مكى
مراجعة : د . عبد العزيز الأهوانى

تقديم

١٧ سبتمبر سنة ١٩٦٥

... مسرح « لارا » الواقع على بعد خطوات من شارع خوسيه انتونيو الذى يدعونه « الشارع الكبير » فى مدريد شارع المتاجر الكبرى والمقاهى البهيجة والأضواء المتألقة والحركة الدائبة فى الليل والنهار .

الساعة السادسة والنصف .. والجمهور يهرع الى قاعة المسرح لكى يحتل مقاعده قبل أن تنفذ التذاكر ، فبعد نصف ساعة سيرفع الستار لكى يشهدوا مسرحية « ثلاث زوجات كاملات » للمؤلف الاسبانى الذى عاد الى وطنه منذ سنوات قليلة بعد ان قضى عشرين سنة فى منفاه بأمريكا اللاتينية : أليخاندرو كاسونا .

الرواية ليست آخر ما كتب كاسونا ، بل وليست من أحدث انتاجه ، فقد كان أول عرضها على المسرح منذ نحو ربع قرن على أحد مسارح الأرجنتين (فى سنة ١٩٤١) ، ولكن الجمهور يتدفق على المسرح وكأنه يشهد عرضها الأول.

منذ شهور ومسارح مدريد كلها تعرض روايات كاسونا القديمة والحديثة : «مركب بلا صياد» ، «الأشـــجار تموت واقفة» ، «الكلمة الثالثة» ، « البيت ذو الشرفات السبع» ، واخيرا روايتيه الأخيرتين اللتين كتبهما ومرض القلب يلح عليه : «الرجل ذو المهماز الذهبى» التى «مسرح» فيها حياة اديب اسبانى قديم طائر الصيت : «كيفيدو» ، «القوادة» تلك الرواية التى افتتح بها تاريخ المسرح الاسبانى فى سنة ١٤٩٧ بعد ان اعاد كاسونا كتابتها وصياغتها من جديد .

ويجرى العرض على خشبة مسرح لارا كالمعتاد : الممثلون وعلى رأسهم اســـماعيل ميرلو Ismael Merlo وماريا دولـــوريس براديرا Maria Dolores Pradera يؤدون ادوارهم كما فعلوا منذ اسابيع فى براعة ومقدرة . ولا ينتهى العرض حتى ترتج القاعة بالتصفيق ويسدل الستار ويرفع مرات ويخرج الممثلون متشابكى الأيدى ليردوا تحية الجمهور وهم يطبعون على شفاههم تلك الابتسامة التقليدية المعتادة .

وفى غمرة هـــذا الحماس لم يكن احـــد من المتفرجين يستطيع ان يفطن الى قطرات من الدموع كانت تنحدر من عيون الممثلين ..

وحتى لو فطن اليها احد فلعله كان يظن انها دموع الفرح تغرورق بها عيون الممثلين وهم يشهدون نجاحا جديدا يضاف الى ما أحرزوه فى ليال ماضيات !

ولـــكن الدموع فى هذه المرة كانت نابعة من مصدر آخر ما كان ليخطر على بال الجمهور الذى أتى ليصفق من جـــديد لاحدى روايات المؤلف الاسبانى الذى عاد الى وطنه .. لقد ابلغ الخبر الى الممثلين منذ ساعات ، وكان عليهم ان يتجرعوا

مرارة تلك اللحظات التى يعنيها ترفيه الجمهور وتسليته وهم يفكرون فى ذلك الرجل الذى خلق لهم شخصيات يتقمصونها على المسرح بينما هو مضطجع على سرير فى احدى المصحات يتجرع غصص الموت ..

لقد مات اليخاندرو كاسونا ..

وفى اليوم التالى سيحمل جسده الى بهو مسرح لارا وتوقد من حوله الشموع وتتلى عليه الصلوات قبل أن يودع مستقره الأخير !

والحقيقة ان المسرح الاسبانى لم يشهد فى تاريخـــه الحديث مؤلفا أبعد صيتا خارج حدود بلده ولا أكثر عالميـــة بمعنى الـــكلمة ، فكثير من اعماله قد ترجم الى اكثر من عشر لغات ، واطلع عليها جمهور المسرح فى العالم كله من موسكو الى بوينوس ايرس ، ومن هلسنكى الى جوهانسبرج ومن اثينا الى ريو دى جانيرو . حتى انه اصبح خير سفير للفن المسرحى الاسبانى فى خارج العـــالم الناطق باللغـــة الاسـانية .

***

ولد اليخاندرو رودريجث الفاريث Alejandro Rodriguez Alvarez فى ٢٣ مارس سنة ١٩٠٣ فى قرية بالغة الصغر لا يزيد عدد سكانها على بضعة مئات فى اقصى شمال اسبانيا فى منطقة اشتوريش المطلة على البحر الكنتبرى . وكان اسم هذه القرية بيسوليو Besullo ، وأما مسقط رأس مؤلفنا المسرحى فقد كان فى بيت قديم كبير يملـكه أبوه هنـــاك ويعرفه اهل القرية باسم لاكاسونا La Casons « أى البيت

الكبير » ، ومن هنا اتى ذلك الاسم المستعار الذى اختاره اليخاندرو رودريجث لكى يعرفه جمهور المسرح منذ ان قدم باكورة انتاجه فى هذا الميدان .

وكان والدا اليخاندرو كلاهما يعملان بالتدريس ، ومن هنا ورث كاسونا الصبى عنهما هذا الاتجاه الى مهنة التعليم فلم ينه دراسته الجامعية فى كلية الفلسفة والآداب بجامعتى اوفييدو ومرسيه حتى اشتغل بالتدريس فى بعض المعاهد الابتدائية فى سنة ١٩٢٨ ، واتجه الى الكتابة والمسرح منذ ذلك الوقت . فالف مسرحية « الحورية الهاربة » فى سنة ١٩٢٩ ، وهى التى نال عليها جائزة « لوبى دى فيجا » اعلى جوائز الدولة للمؤلفين المسرحيين الناشئين . كذلك نال كاسونا فى نفس السنة جائزة الدولة التشجيعية فى الأدب على كتابه «زهرة الأساطير» ، وهو نوع من الأدب الذى يكتب للأطفال لتنمية ذوقهم الأدبى .

وهكذا بدا اليخاندرو كاسونا حياته الأدبية بنجاح مرموق لم يتح لكثير من المؤلفين الشباب . فقد أعقب فوزه بهاتين الجائزتين الأدبيتين الكبريين ان عهدت اليه المؤسسة التربوية فى وزارة التربية والتعليم بمنصب « مدير مسرح الشعب » ، وكان ذلك فى سنة ١٩٣١ . وكان عمل كاسونا فى هذا المسرح الشعبى هو تقديم الوان بسيطة من الأدب المسرحى لجمهور الريف فى القرى المتواضعة النائية حتى يعين هؤلاء الناس البسطاء على تذوق فن لا تتاح لهم دائمة فرصة رؤيته او الاطلاع عليه . وكانت الفرقة التى يديرها كاسونا ويخرج لها ما تمثل من روايات من طلبة المدارس الهواة . وقد ظل كاسونا فى عمله هذا خمس سنوات يعترف هو نفسه بأنها كانت من اخصب سنى حياته واحفلها

بالتجارب التى كان لها فى حياته وفنه من بعد ذلك أثر عميق لم يعف عليه الزمن قط .

وفى سنة ١٩٣٤ عرضت فى مدريد على المسرح لاول مرة رواية كاسونا التى تحدثنا عنها وهى «الحورية الهاربة» فاستقبلها الجمهور والنقاد بترحيب عظيم . وبدأ الناس يرون فى ذلك الشاب الخجول المنطوى على نفسه واحدا ممن عقد عليهم الأمل فى تجديد المسرح الاسبانى الذى كان يجتاز فى ذلك الوقت ازمة شديدة بعد ان نضبت موارده وعاد يدور حول نفسه فى حلقة مفرغة .

وهنا ادرك كاسونا ان المسرح هو ميدانه الحقيقى ، فاستقال من وظيفته وتفرغ للكتابة له ، غير أن الحرب الأهلية اشتعلت فى اسبانيا فى ذلك الوقت (سنة ١٩٣٦) ورأى كاسونا ان مجال عمله فى بلاده فى غمار هذه الحرب المروعة التى استمرت ثلاث سنوات كان ضيقا محدودا ، فهاجر الى فرنسا أولا ثم انتقل الى امريكا اللاتينية ، فظل يجوب بلادها سنتين ، وأخيرا استقر المطاف به فى الأرجنتين فاتخذها وطنا ثانيا له .

وظل كاسونا فى منفاه الذى اختاره لنفسه عشرين سنة ، واستقرت أحواله فى بوينوس ايرس ، وأصبحت العاصمة الأرجنتينية الكبرى مركزا لنشاطه الأدبى ، وتوالى انتاجه المسرحى فى أرض المهجر ، وارتفعت مكانته وطار صيته فى ذلك العالم الناطق بالاسبانية والى هذه الفترة التى اقامها كاسونا مابين الأرجنتين واورجواى يرجع الجانب الأكبر من انتاجه المسرحى .

ولكن حنين هذا الأديب التائه الى بلده حمله على أن

يعود الى وطنه بعد طول غياب وكان كاسونا يسارى النزعة دون ان يبلغ حد التطرف ، ودون أن يقحم نفسه فى ميادين الصراع السياسى ، ولهذا فان الحكومة الاسبانية اعلنت ترحيبها بمقدمه اذا آثر العودة الى اسبانيا . وأخيرا رجع كاسونا الى وطنه فى سنة ١٩٥٧ وقد أحاطت به هالة من الشهرة والمجد .

واستقر الأديب المسرحى الكبير فى مدريد وعاد الى مواصلة العمل هناك ، وأصبح اسمه أبرز أسماء المؤلفين المسرحيين ، وتهافتت مسارح اسبانيا على عرض رواياته القديمة والجديدة ، ثم الف فرقة مسرحية تحمل اسمه واستأجر أحد مسارح مدريد من أجل عرض رواياته هو . غير أن المجهود الكبير الذى كان يبذله فى العمل فضلا عن سنوات المنفى الماضية ادى الى اصابته بمرض القلب الذى ظل يلح عليه حتى ألزمه الفراش فى سنة ١٩٦٤ ، وفى السنة التالية تماثل للشفاء وبدا لأصدقائه وجمهوره ان هذه الأزمة التى تعرضت لها صحته قد انحسرت ومضت ، وبدا كاسونا يستعد لمغادرة المصحة ولمواصلة العمل ، وكان ذلك فى صيف سنة ١٩٦٥ ، غير ان صحته تدهورت فجأة فى شهر سبتمبر ، ولم يلبث ان اسلم روحه الى بارئه فى ١٧ من هذا الشهر سنة ١٩٦٥ بينما كانت معظم مسارح مدريد تعرض مختلف رواياته فى وقت واحد .

وبكت اسبانيا مؤلفها المسرحى الذى استطاع ان يرفع راية ادب بلاده فى انحاء العالم كله ، بكت ذلك الرجل الذى قضى الشطر الأعظم من حياته تائها فى بلاد الله حتى اذا تمكن من تنسم ريح بلاده من جديد اذا بالقدر يقصف غصن حياته

فى الوقت الذى كان العالم الأدبى الاسبانى ينتظر من روائعه المزيد .

الفن المسرحى عند اليخاندرو كاسونا :

كان الأدب المسرحى الاسبانى منذ أوائل القرن العشرين يجتاز ازمة شديدة خانقة ، فقد كان يبدو ان معينه نضب أو أوشك على النضوب . والواقع ان هذه الأزمة لم تكن الا انعكاسا لأحوال اسبانيا كلها التى بدأت منذ القرن التاسع عشر تسير من سيىء الى أسوأ ، وبلغ هذا الانحلال ذروته فى سنة ١٨٩٨ بعد الحرب غير المتكافئة التى نشبت بين اسبانيا والولايات المتحدة فى مياه بحر الكاريبى والمحيط الهادى . وارتفعت اصوات المفكرين الاسبان منادية بالنظر فى تاريخ اسبانيا الحديث ودراسة الأسباب المباشرة وغير المباشرة ، الظاهرة والخفية لتلك الكوارث التى تعاقبت على البلاد حتى ادت بها الى ذلك الانحلال السياسى والاجتماعى والاقتصادى .

وضرب الأدباء فى ذلك الميدان بسهم ، وظهر فى الأدب جيل جديد هو المعروف باسم جيل سنة ١٨٩٨ الذى كان أعلامه ينادون باعادة النظر فى كل القيم الأدبية والفنية التى كانت محترمة متبعة فى ذلك الوقت . وترتب على ذلك نهضة أدبية لها اعتبارها ، ولكنها كانت نهضة نابعة من الحيرة والقلق والتشاؤم والمرارة ، كانت نهضة تقوم على الهدم والنقد اللاذع أكثر مما تقوم على البناء ، ولكنها كانت على كل حال طريق المستقبل وبداية البناء الجديد للوطن الاسبانى .

واما الأدب المسرحى فقد تعرض ايضا لهزة شديدة ودعوات للتجديد والخروج على المألوف الرتيب . صحيح

أن هـذه الفترة كانت هى التى ظفرت اسبانيا خلالها لأول مرة بأكبر جائزة ادبية عالمية هى جائزة نوبل للآداب ، وكان الفائز بها هوالمؤلف المسرحى الاسبانى خوسيه ايتشيجاراى José Echegaray فى سنة ١٩٠٣، ولكن ظفر هـذا المؤلف بتلك الجائزة لم يكن ليخدع احدا ، بل ان الرأى العام الأدبى فى اسبانيا نفسها استولت عليـه الدهشة ، فاتشيجاراى لم يكن مؤلفا مسرحيا ممتـازا ولا حتى متوسطا . بل كان مسرحه الشعرى مليئا بالتكلف والجفاف والخطابية . وكان من الواضح أن جائزة نوبل هذه انما كانت تمنح فى كثير من الأحيـان لدوافع لا تمت الى الأدب بصلـة ، فقـد كان بين مفكرى اسبانيا وأدبائها من هم أجدر من اتشيجاراى ألف مرة بتلك الجائزة .

غير أن الأدب المسرحى كان فى طريقـه الى التجـدد على كل حال، ولعل أعظم شخصيات هذا الأدب فى أوائل القرن العشرين هو خاثينتو بينافنتى Jacinto Benavente الذى نال جائزة نوبل أيضـا فى سنة ١٩٢٢ ، وان كان هـذا الأديب الاسبـانى اكثر جـدارة بتلك الجائزة من مواطنه السابق ، وقد عرف بينافنتى باتجاه خلقى هادف وبأصالة خصبة وتمكن من الأسلوب المسرحى .

وتعددت بعد ذلك مدارس الأدب المسرحى واتجاهاته فكان هناك مؤلفون اتجهوا الى المسرح العاطفى الشعرى مثل الأخوين الفاريث كنتيرو Alvarez Quintero اللذين توفيا فى سنتى ١٩٣٨ و١٩٤٤ ، وكان هناك من اتجه الى وصف العـادات والتقاليد فى مجتمـع الطبقة الوسطى والدنيـا مثـل كارلوس ارنيتشس Carlos Arniches (١٨٦٦ — ١٩٤٣) ، أو من كتبوا مسرحا اجتماعيا مثـل

مانويل لينارس ريفـــاس Manuel Linares Rivas او عادوا بالمسرح الاسبانى الى اصوله الأولى حينما اختط قواعده مؤلفو « العصر الذهبى » (فى القرن السابع عشر) من امثال لوبى دى فيجـا Lope de Vega وكالديرون Calderon وتيرسودى مولينا Tirso de Molina ، ونذكر من هؤلاء الذين ارادوا تجديد المسرح الاسبانى عن طريق العودة الى أساليب المسرح القديم وموضـوعاته خاثينتو جراو Jacinto Grau الذى حاول ان يكتب مسرحا مستلهمـا من التـــاريخ القديم والميثولوجيا الاغريقية ، ثم ادواردو ماركينا Eduardo Marquina (١٨٧٠ — ١٩٤٦) ورامون دل فالى انكلان Ramon del Valle Inclan (١٨٦٩—١٩٣٦) اللذين انتهجا طريق المسرح الشعرى ، وكان من بين محاولى التجديد آخرون مسايرون للمدارس الأوربية الحديثة ، مثل رامون جومث دى لاسرنا Ramon Gomez de la Serna وخوسيه مارتينث رويث المعروف باسمه المستـعار اثورين José Martinez Ruiz (Azorin) وكلاهما حاول ان يقدم فنا جديدا ينتمى الى المدرسة الرمزية أو السريالية .

ومع ذلك فان كل هـذه المحاولات التجديدية لم تلق نصيبا كبيـرا من النجـاح ولم يوفق أصحابها فى اقنـاع الجمهـور بها وظلت أزمة المسرح الاسـبانى قائمة ، وبقى النـاس هنـاك ينتظرون من يقـدم اليهم شيئا يخـرج على ما ألفوه وتكرر على أنظارهم وأسماعهم حتى سئموه .

وهنا تبرز فىعالم الأدب المسرحى الاسبانى شخصيتان عرفتا كيف تملآن ذلك الفراغ خلال الثلث الثانى من هـذا القرن ، ونعنى بهمـا فيديريكو غرسيه لوركا Federico Garcia Lorca (١٨٩٨ — ١٩٣٦) واليخاندرو كاسونا

Alejandro Casona (١٩٠٣ – ١٩٦٥) ، وكان بدء هذه المرحلة الجديدة فى تاريخ المسرح الاسبانى هو عرض مسرحية لوركا « الزفاف الدامى » فى سنة ١٩٣٣ ، « الحورية الهاربة » لكاسونا فى السنة التالية .

وكان النجاح الذى لقيته هاتان المسرحيتان لهؤلاء المؤلفين الشابين حينئذ من جانب الجمهور والنقاد مبشرا بمولد هذه النهضة الجديدة . ورأى الناس فى مسرح لوركا الذى عرف كيف يوفق فيه بين العاطفة الحارة المتأججة والتعبير الشعرى الغنائى والموضوعات المستوحاة من صميم البيئات الريفية الشعبية – رأوا فيه هذا الجديد الذى ظلوا يفتقدونه من قبل فى الأدب المسرحى فلم يجدوه .

أما مسرح كاسونا فقد انتهج طريقة أخرى تقوم على المزدوجة بين الواقع وعالم العقل الباطن وأسرار النفس الخفية . فهو مسرح أبطاله ناس عاديون ممن يضطربون فى خضم الحياة ، ولكن كاسونا يفطن الى أن كل مخلوق بشرى له عالمه الخاص الذى استقر فى وعيه الباطن ، عالمه الذى يستطيع ان يحقق فيه ما لا يتيسر له وهو مشدود بواقع حياته المادية ومن هنا كان هذا التزاوج فى مسرح كاسونا بين هذين العالمين مفضيا به الى السمو بحياتنا اليومية المبتذلة الى أفق سام من المثالية الشعرية دون أن يلجأ الى تهاويل الخرافة أو ترك الخيال سارحا منطلقا بغير قيود .

هذه هى الواقعية الجديدة التى اختط كاسونا منهجها فى المسرح الاسبانى والتى عرفت كيف تكفل لمسرحه نجاحا لم يؤت لمن سبقه من المؤلفين ، اذ قدمت للأدب شيئا جديدا لم يكن مألوفا من قبل فى مسرح مؤلفى القرن العشرين .

وكاسونا مؤلف انسانى قبل كل شىء ، وليس مسرحه مشدودا الى بيئة خاصة معينة يلتزم بتعابيرها وسلوك أهلها ، وهذا هو ما كان يميز المسرح الاسبانى بوجه عام منذ ان خلقه فى القرن السابع عشر المؤلف العبقرى الموهوب لوبى دى فيجا Lope de Vega (١٥٦٢–١٦٣٥) ، وهذا هو ما جعل المسرح الاسبانى بصفة عامة مسرحا « فولكوريا » نابعا من بيئته الاسبانية متشبعا بمقوماتها بحيث يعسر على غير الاسبانى تمثله والتمتع به . أما كاسونا فانه عرف كيف يتحرر من قيود البيئة ويقدم لنا فنا يتناول حياة الانسان الواقعة والباطنة ، ولكنه الانسان الذى يمكن ان يعيش فى أى مكان أو زمان . ومن هنا استطاع أدب كاسونا المسرحى أن يتجاوز حدود بيئته ويتجاوب معه جمهور أى بلد من البلاد وهكذا وفق كاسونا الى ما لم يوفق اليه أى كاتب مسرحى اسبانى قبله ، حتى مسرح غرسيه لوركا نفسه الذى عرفه الناس خارج اسبانيا لم يكن أبدا من اليسير تمثله والتمتع به الا اذا قدر المتفرج أو القارىء ظروف البيئة الاسبانية أو الأندلسية التى يدور فيها . واذا كنا فى العالم العربى قد استطعنا تفهمه وتمثله فى يسر فما ذلك الا لما يربط بين البيئة الأندلسية وبيئتنا نحن من مشابه كثيرة ترجع فى الحقيقة الى الرواسب العربية والاسلامية التى خلفتها على أرض اسبانيا ونفوس أهلها نحو عشرة قرون من المعايشة والحياة المشتركة .

وكاسونا مؤلف مؤمن بالخير وبالقيم الايجابية لحياة الانسان ، وهو متفائل عميق الاعتقاد فى أن الخير هو طريق السعادة ، ولكنه يوصل ما يؤمن به من مثل وقيم الى المتفرج أو القارىء لا عن طريق الخطابة أو الموعظة ، اذ هو فنان مقتدر يجرى أحداث رواياته وحوار أبطالها فى تلقائية

طبيعية أبعد ما تكون عن التكلف أو اصطناع مسوح المربى أو المصلح الأخلاقى . وسنرى ذلك فى هذه المسرحية التى نقدمها على أجلى صورة .

مسرحية الأشجار تموت واقفة :

عرضت هذه الملهاة ــ المأساة (فى وقت واحد) ــ لأول مرة فى اول ابريل سنة ١٩٤٩ على مسرح «الأتينيو Ateneo» فى بوينوس أيرس Buenos Aires عاصمة جمهورية الأرجنتين .

وتدور حوادث المسرحية فى الوقت الحاضر فى احدى المدن الكبرى ، ونحن نرى المشاهد الأولى تجرى فى مقر مؤسسة غريبة انشأها الدكتور آريل ، رسالتها هى بث السلام والطمأنينة والسعادة فى نفوس الحائرين القلقين المعذبين . هى ليست مستشفى لأمراض الجسد ولا مصحة عقلية أو عصبية ولا ملجأ للبر والاحسان ، بل هى مؤسسة مبتكرة يقوم المتطوعون فيها بالاتصال بمن تعذبهم مشكلة نفسية أو أزمة تؤدى بهم الى اليأس أو الكفر بقيم الروح والخير . ويقوم ماوريثيو مدير هذه الدار والساعد الأيمن للدكتور آريل بشرح مبادىء مؤسسته فيقول :

هناك كثيرون يشتغلون بعلاج أمراض الجسد . ولكن هل فكر أحد فى أولئك الذين يموتون دون أن تشتمل حياتهم على ذكرى جميلة ؟ والذين لم يروا حلما من احلامهم تحقق ؟ والذين لم يشعروا أبدا بقشعريرة الايمان أو عدة الرهبة ازاء السر الغامض تسرى فى اجسادهم ؟

والفكرة ليست جديدة فى مسرح كاسونا ، شهدناها من قبل فى روايته « ممنوع الانتحار فى الربيع » حيث نرى

الدكتور آريل نفسه المذكور هنا يؤسس دارا يطلق عليها اسم « دار المنتحرين » مهمتها التقاط أولئك المعذبين الذين يريدون أن يضعوا حدا لحياتهم ، وتبذل لهم الدار والعاملون فيها من العون مايحل عقدة انفسهم فاذا بهم يخرجون بعد ذلك وقد تسرب الى أرواحهم شعاع من النور يحملهم على حب الحياة من جديد أو على الأقل الاستسلام والرضا بما كتب عليهم أن يعيشوا حتى يقضى الله فيهم أمره .

ونحن نرى كاسونا يكرر لنا هنا هذه الفكرة ، فهذه المؤسسة تعمل على البحث عن المعذبين القلقين . والمشتغلون فيها بمحض ارادتهم وبحكم ايمانهم بالفكرة النبيلة واستعدادهم للتضحية فى سبيلها ينطلقون هنا وهناك باحثين عن هؤلاء الذين يوشكون أن يكفروا بكل قيمة أو يرون الحياة سجنا ينبغى عليهم الفكاك من أغلاله .

ويعرض لنا كاسونا نماذج لهؤلاء المتطوعين المشتغلين من أجل الالقاء بشعاع أمل فى ظلمات النفوس اليائسة التعسة وبالحالات التى يجرون عليها تجاربهم : مهرج السيرك : مضحك لم يعد فى قلبه مكان للضحك ، ولكنه مع ذلك يقضى وقته فى المتنزهات العامة لكى يدخل بحيله والعابه قليلا من السرور والسعادة فى نفوس الأطفال الذين أهملهم آباؤهم وأمهاتهم واشتغلوا عنهم بأعمالهم أو حفلاتهم ، وأستاذ جامعى ــ تسع لغات حية وأربع ميتة وأربعون سنة من الدراسة ــ ولكنه يستغل علمه ومواهبه لا فى قاعة دروس ولا بين جدران مكتبة صماء تعزله عن الحياة ، بل فى اعمال متباينة يؤدى بها خدمات انسانية فهو مرة يتقمص زى راهب بروتستانتى لكى يعيد نفحة من الايمان الى عانس اسكوتلاندية عذبتها الشكوك وكادت تفقد

الايمان بالله ، وهو مرة أخرى بحار نرويجى يهرع الى الميناء وقد ارتدى زى « ذئاب البحار » وحمل آلة أكورديون لكى يستقبل مجموعة من الأطفال اليتامى القادمين من بحار الشمال بأغنية تذكرهم ببلادهم وتهز أنفسهم بشعور من الحنين ، وصياد لامهمة له الا اطلاق عدد من الأرانب وكلاب الصيد لكى يلتقطها الصيادون الفقراء الذين يجوبون الغابة دون أن يوفقوا الى قوت يومهم ، وشحاذ يدعونه « لص اللصوص » اذ انه تخصص فى اتباع خطى النشالين الصغار ممن تلفظهم الملاجىء أو أقسام الشرطة لكى يسرق منهم ما سبق ان انتزعته أيديهم من جيوب الناس ، ثم تعود المسروقات الى أصحابها ويتلقى اللص الصغير دعوة الى الكف عن عمله وتوجيها الى عمل شريف .

ونحن نرى فى الفصل الأول كيف يقدم الى هذه الدار الغريبة شخصان لكل منهما مشكلته وأزمته : «مارتا ايزابيل» الفتاة الوحيدة التى طردت من عملها والتى استقر فى نفسها أنها لاتصلح لشىء حتى أنها لم تعد تجد وسيلة للخلاص من عذابها الا فى الانتحار ، « وفرناندو بالبوا »الذى اتى يعرض على مدير المؤسسة مشكلة أمضته وأرقته : انه كهل يعيش مع زوج طيبة وحيدين فى بسطة من العيش وان كانا قد حرما من جميع أفراد الأسرة ولم يكن قد بقى لهما الا حفيد صغير أسرفا فى تدليله حتى فسدت أخلاقه وزين له رفاق السوء حياة الرذيلة • ويتمادى الصبى فى مباذله حتى تأتى ليلة يضبطه فيها الجد وهو يحاول سرقة خزانته ، فيطرده من المنزل ، ويخرج « ماوريثيو » — فهذا هو اسم الحفيد — هائما على وجهه وتنقطع أخباره زمنا ، ثم يعلم الجد انه هاجر الى كندا حيث مضى يواصل حياة الرذيلة والاجرام ،

ولكن الجدة التى لم تكن قد فقدت الأمل فى استصلاح الحفيد العاق كانت تعيش فى عذاب دائم ممض ، انها لاتلوم زوجها على طرده الفتى من الدار ولكنها تذوى وتموت فى بطء الما لمصير الغلام الصغير الذى حكم عليه بالتشرد ، ويرى «بالبوا» امراته العجوز وهى تموت فى صمت ، فلا يجد وسيلة التخفيف عن آلامها الا اللجوء الى كذبة بيضاء يلفقها لها : ان الحفيد الضال قد علمته الحياة والغربة ماعجز الجدان ان يلقناه اياه فى البيت ، فقد خلقت منه البيئة الجديدة فى كندا رجلا يعرف التبعة ويقدرها ، واذا به يستقيم وتصلح أحواله وتعيد الأكذوبة الطيبة جذوة الأمل الى نفس الجدة العجوز ، ويستمرىء زوجها ذلك فاذا به يلفق مزيدا من الرسائل تصلها من كندا تقص فيها على الجدة حياة حفيدها الجديدة فاذا به يتخرج من جامعة مونتريال حيث درس العمارة ، ثم يفتح مكتبا للهندسة المعمارية ويتعرف بفتاة جميلة ويتزوج منها .

ولكن القدر لا يلبث أن يتدخل فى المهزلة التى أحسن العجوز حبكها . ففى يوم من الأيام تصل الى الجدة برقية من حفيدها المقيم فى كندا يعلن فيها اليها انه قادم على الباخرة ساتورنيا بعد أن قضى عشرين سنة فى بلاد الغربة ويستطير قلب الجدة فرحا ، وتعلن الخبر لزوجها وهى تكاد تجن ، ويتظاهر الرجل بالفرحة وان كان الخبر قد القى فى نفسه الذعر والقلق . انه عرف كيف يلفق الرسائل الماضية ويزيفها رحمة بزوجته المسكينة ، فانه كان يعرف أن حفيدهما « ماوريثيو » قد أصبح مجرما مشهورا تتعقبه الشرطة فى كندا . والخطير فى الأمر ان الرسالة التى وصلت الى الجدة فى هذه المرة لم تكن مثل الرسائل السابقة من نسج خيال الجد ، بل حقيقة واقعة . فكيف يواجه الآن هذا الظرف

الجديد ، وما يكون الموقف حينما ترى الجدة حفيدها الذى علقت عليه ما بقى لها من امل فاذا به اسوأ مما كان ؟

غير انه يبدو ان القدر يوشك ان يوجد لمشكلة الجد حلا : فالأنباء تأتى اليه على صفحات الصحف : لقد غرقت الباخرة « ساتورنيا » فى عرض البحر ، وتوفى جميع بحارتها وركابها . وهكذا لم يعد هناك مايخشى من عودة الحفيد المجرم . ولكن وقع الصدمة سيكون شديدا على الجدة المسكينة فما الذى يفعله الجد لكى يبقى حشاشة من الأمل المشرق فى نفس زوجته العجوز .

ويهرع « فرناندو بالبوا » الى صديقه الدكتور آريبل فيشير عليه هذا بالتوجه الى تلك المؤسسة التى تخصصت فى حل الأزمات وتبديد غيوم اليأس عن النفوس المتعطشة الى الأمل حتى ولو كان املا زائفا مصطنعا . ويعرض بالبوا مشكلته على « ماوريثيو » مدير المؤسسة : ان الصورة المثالية التى رسمها لذلك الحفيد الذى صلح واستقام فى كندا ينبغى ان تظل حية باقية اذ هى انقاذ للأمل الذى عاشت عليه امرأة مسكينة طوال عشرين سنة . ولوأن هذه المرأة الطيبة الحنون صدمت بالواقع المر لكان فيه القضاء عليها .

ويسأل « ماوريثيو » عما يمكن القيام به فيطلب اليه الشىء الوحيد الذى يكفل له المحافظة على الكذبة البيضاء : ان ينتحل شخصية الحفيد وأن يبحث عن فتاة تنتحل شخصية المرأة التى احبها وتزوج منها فى كندا ، وأن يأتى الاثنان فيقيما اياما مع الجدة حتى تطمئن الى حقيقة القصة ثم فى وسعهما بعد ذلك أن يرحلا عائدين بأى حجة .

ويفكر ماوريثيو فى الأمر ، انه حل معقد حقا . فعليه أن يتقمص شخصية شاب أمضى صباه فاسد الخلق فى كنف

جديه ثم قضى عشرين سنة فى كندا ليعود بعد ذلك مهندسا معماريا متزوجا مستقيم الخلق مرموق المستقبل . ولكن الجد يهون عليه الأمر : اما وجه الفتى وملامحه فان عشرين سنة من حياة الغربة جديرة بأن تغير ملامح صبى صغير وأما بيت الجدين الذى أمضى فيه صباه فانه كفيل بأن يصفه له أدق الوصف حتى يبدو كأنه يعرفه حق المعرفة وأما حياته فى كندا فانه سيضع بين يديه الرسائل المزيفة حتى لا تند عنه شاردة ولا واردة مما « كتبه » من قبل الى الجدة . ولكن بقى أمر الزوجة الزائفة . من أين يأتى له بزوجة من كندا حتى تستقيم حبكة الأكذوبة ؟ ويتجه تفكير ماوريثيو الى استخدام الفتاة التى خلصها من الانتحار فى الليلة السابقة : مارتا ــ ايزابيل ، فهى على ما أقترح « بالبوا » أصلح من يكون لتمثيل دور الزوجة بعد أن تلقن تفاصيل هذا الدور .

ويقبل ماوريثيو ومارتا ايزابيل تمثيل دور الحفيد وزوجته فى سبيل الجدة التى أصبحت حياتها رهينة بانقاذ هذه الأكذوبة . ويستعدان للاختبار العسير ، وأخيرا تحين ساعة وصولهما الى منزل الجدة ، ويكون اللقاء المؤثر ، ويؤدى الحفيد وزوجته الزائفان دورهما فى براعة فائقة حتى أن الجدة المسكينة لا يكاد يراودها الشك فى الأمر . ويقضى ماوريثيو ومارتا ايزابيل فى البيت أياما يشيعون خلالها السعادة فى نفس العجوز .

وتسير الأمور فى مجراها الطبيعى وفقا للخطة المرسومة ثم يصطنع ماوريثيو برقية زائفة من كندا تخبره بضرورة العودة الى هناك على وجه السرعة ، فيستعد ماوريثيو وايزابيل لمغادرة البيت ويتأهبان لموقف الوداع . ويعتقد الجميع انهم أدوا أدوارهم على خير صورة ، فقد تم للجدة

لقاء حفيدها وزوجته ، وستعيش منذ ذلك الوقت سعيدة هانئة على امل لقاء جديد بآخر من بقى من سلالتها وهى تراه قد اصبح رجلا بمعنى الكلمة ورب اسرة وبيت تملأه السعادة .

غير ان القدر يعود فيتدخل مرة اخرى فى المهزلة ، ولكنه فى هذه المرة اقسى واشد وطأة . لقد وقع ما لم يكن احد ينتظر : الحفيد الحقيقى يعود الى بيت جده . ويستولى الذهول على بالبوا . الم تغرق الباخرة « ساتورينا » التى اعلن انه قادم عليها ؟ غير أن الحفيد يجيبه فى سخرية قاسية قائلا ان طريدا للعدالة مثله لا يستقل ابدا الباخرة التى اعلن مقدمه عليها . ويسأله الجد ما الذى اتى من اجله فيقول الحفيد العاق الذى لم تكف عشرون سنة لاطفاء جذوة حقده انه اتى ليطالب بحقوقه تلك الاسرة التى طردته وشردته ويعرف الحفيد الحقيقى تفاصيل الأكذوبة التى لفقها الجميع للتمويه على الجدة ، فيراها فرصة سانحة لكى يطالب بمبلغ ضخم من المال والا كشف الأمر كله للعجوز . وتظلم الدنيا فى عيون بالبوا وشريكيه فى المهزلة : ماذا يفعلون الآن ؟ ان المبلغ الذى يطالب به الحفيد المجرم سيؤدى الى فقد بيته وكل ما لديه ، ولكنه لو امتنع عن دفعه فان « ماوريثيو » الحقيقى لن يتورع عن تحطيم هذه الاسطورة المذهبة التى نسجوها حول ذلك الحفيد الطيب المستقيم الذى التقت به الجدة وعيناها ممتلئتان بالدموع . ان الضربة ستكون قاسية على المرأة العجوز ، بل ان هذه الصدمة ربما أدت الى موتها .

ويحاول ماوريثيو وايزابيل بدورهما اقناع الحفيد الحقيقى بالانصراف ، مرة بالتهديد ومرة بالاستعطاف والرجاء . ولكن المجرم لا يتنازل عن اى مطلب من مطالبه

ويمنح الجد وشريكيه مهلة الى اليوم التالى ، وهو الذى حدد لسفر الحفيد المزيف وزوجته .

ويأتى اليوم الرهيب ويعود ماوريثيو الحقيقى مستعدا للمضى فى انتقامه الأسود الى أبعد الحدود ، ويدور النقاش مرة أخرى فى حدة وصخب وتقدم الجدة على أصوات الشجار ، فترى الشاب الغريب وتسأله عما يريد . فلا يتردد النذل فى أن يلقى عليها بالحقيقة كلها سافرة ! ان الجد وشريكيه قد موها عليها وخدعاها ، وأن هذا المجرم طريد العدالة الذى ينصب عوده أمامها الآن هو حفيدها الحقيقى . وهو بحكم ذلك يطالبها بأن تعطيه ما يريد من نقود والا قتله زملاؤه فى العصابة .

وتقف الجدة فى جلال الشيخوخة ووقارها النبيل وتقول له انها عرفت الحقيقة كلها من الجد فى الليلة السابقة ، لقد انطلت عليها الخدعة فى الأيام الأولى ولكن الشك بدأ يداخلها حتى رأت حفيدها الحقيقى فى اليوم الماضى وحينئذ حملت زوجها الكهل على الاعتراف بكل شىء . لقد كانت الصدمة رهيبة بالغة القسوة وكانت تحاول أن ترفض تصديق الواقع وان ترضى بالأكذوبة الجميلة المذهبة ، ولكن لم يكن بد من مواجهة الحقيقة كاملة ، غير انه كان هناك أمل يراودها : أن الحفيد المجرم مهما كانت قسوته وغلظة قلبه فانه سيلين أمامها ولن يجرؤ على مواجهتها بما قد يؤدى الى اطفاء جذوة حياتها . ولكن هذا الأمل قد تبدد فى النهاية ، وها هى ذى تراه أمامها غير مبال بعذابها وألمها فى سبيل الوصول الى ما يريد ! . .

ولكن الجدة المسكينة تتحامل على نفسها وتواجه الحفيد النذل فى قوة لا يكاد المرء يدرك من أين أتتها . . لقد عرفت

الحقيقة ولكنها ليست مستعدة للغفران والعفو عن حفيدها الذى لم يرع لها ذماما ولا حرمة ... ان الألم يعصر أحشاءها ولكنها تتجلد وتلقى على الفتى المستهتر درسا فى الكرامة فهى تطرده من دارها بغير تردد ، اذ انها ترفض الاعتراف به اما الحفيد الذى بث الأمل الجديد فى نفسها هو وزوجته . اما هذان الممثلان الزائفان فهما الجديران فعلا بحبها وحنانها لقد كان عليها أن تختار فآثرت اختيار الأسطورة الرقيقة الجميلة على الحقيقة الخشنة القذرة . انها تدين لهذين الشابين الطيبين اللذين خدعاها بخير أيام حياتها . فلتعتبرهما حفيديها الحقيقيين ولتنبذ ذلك الحفيد الذى تجرى دماؤها فى عروقه مادام غير جدير بهذه الدماء .

غير انها لا تخدع نفسها ! .. فهى تعترف بأن الصدمة كانت عليها شديدة قاسية .. لقد ماتت من داخل ولكن ينبغى عليها أن تتجلد وتقف على قدميها متماسكة ، ثابتة تماما مثل الأشجار ينخر الموت فى داخلها ولكنها لا تموت الا واقفة ! ..

***

تعتبر رواية « الأشجار تموت واقفة » أكثر روايات اليخاندرو كاسونا انتشارا ونجاحا فى النطاق العالمى ، فقد ترجمت الى لغات كثيرة منها الانجليزية والفرنسية والبرتغالية والايطالية والألمانية والهولندية والفنلندية واليوغوسلافية والروسية والتشيكوسلوفاكية واليونانية والبولونية . وهى مازالت تعرض بنجاح كبير على عدد كبير من مسارح البلاد الأوربية والأمريكية وربما كان اليها يرجع نصيب كبير من شهرة أليخاندرو كاسونا فى أوساط المسرح العالمى .

والرواية تحمل جميع القيم الفنية التى تميز مسرح كاسونا والتى أسلفنا الحديث عنها وأهمها التزاوج المتسق بين الواقعية واللاواقعية ، والمزج بين الحقيقة وذلك الواقع الذى يسمو على المألوف ، والمثالية الشعرية التى ليست شطحة من شطحات الخيال بل هى ممكنة الوجود فى عالم الواقع . المسرحية التى بين ايدينا تسير فى نفس الخط الذى يميز مسرحيتيه السابقتين « الحورية الهاربة » التى كانت أول انتاجه المسرحى ثم « ممنوع الانتحار فى الربيع » وان كانت هذه المثالية الشعرية فى رواية « الأشجار تموت واقفة » اقرب الى الواقع وادخل فى باب الممكن منها فى المسرحيتين السابقتين . فنحن نرى هنا عالما مصطنعا من صنع الخيال يسمو على العالم الحقيقى بما فيه من بؤس وتعاسة ، بل هو علاج لما يعتور عالمنا المبتذل من شرور ورذائل . فالجد وشريكاه فى التمثيلية التى أديت أمام الجدة المسكينة قد صنعوا اسطورة لحفيد كان فاسدا منحلا ثم تحول الى رجل كامل الرجولة يعود الى بيته ليشيع السعادة فى نفس جدة عجوز أوشكت على الموت . صحيح انها أسطورة من نسج خيال هؤلاء الرجال تتعارض من الواقع الشقى التعس ، فالحفيد الحقيقى لم يستقم ولم يقلع عن اجرامه ، ولكن الم يكن فى هذه الأسطورة المذهبة — لو ان الحقيقة لم تنكشف فى النهاية — علاج لذلك العذاب الذى كانت تعانيه امرأة طيبة وحيدة ؟

ومع ذلك فان رواية كاسونا هذه هى أقرب رواياته الى تصوير العالم الواقعى ، فلسنا نرى فيها شخصية شيطان يتقمص جسد كائن بشرى كما رأينا من قبل فى « مركب بلا صياد » بل كل مافيها ممكن الوقوع فى حياتنا اليومية العادية

فمثل هذه الأكذوبة البيضاء التى اختلقها الجد وأعانه عليها اثنان من المتطوعين يملأ الخير نفسيهما ليس أمرا مستحيلا بل ما اكثر ما ننسج نحن فى حياتنا من أكاذيب من هذا النوع تبرر الغاية وتشفع لمرتكب ذنب الكذب .

لقدكانت الجدة المسكينة تموت فى صمت موتا بطيئا .. يوما بعد يوم ، انها لم توجه الى زوجها أى عبارة لوم على طرده للحفيد العاق الفاسد ، ولكن الصمت المتوتر الذى كان يرين على البيت سنوات وسنوات كان أبلغ من كل اتهام . لماذا قضى على هذه المرأة المسكينة ان تموت فى هذا العذاب ؟ ألم يكن من حقها أن ينبض قلبها بالسعادة مرة قبل أن تأوى الى مستقرها الأخير ؟ لقد قرر زوجها اخيرا أن يحيى فى نفسها أملا ما كان يجوز أن ينتزع منها الى الأبد ، واستطاع فعلا ان يشيع فى نفسها سعادة وطمأنينة بفضل ثلاث صفحات من خطاب ...! خطاب مزيف ؟ .. نعم . فليكن .. ولكن ألم تؤد هذه الرسالة الزائفة المصطنعة دورا ساميا نبيلا ؟ ألم تبعث أشعة النور فى ظلمات هذه النفس المعذبة اليائسة ؟ وأى بأس فى حبك هذه الأسطورة اذا كان يترتب عليها اسعاد نفس بشرية لم تكن تستحق الشقاء ، وكل ذلك بأى ثمن ؟ رسالة يحملها البريد من كندا !...

لقد كان من الممكن ان يقع بالفعل مانسجه خيال فرناندو بالبوا .. كان من الممكن ان يستقيم الحفيد ويصلح وأن يتحول من فتى نزق طائش الى رجل صقلته الغربة وحنكته التجارب ، صحيح ان هذا لم يحدث . ولكن أى بأس فى أن نتعلق بأهداب هذا الخيال الممكن مادام فيه السعادة والخير ؟

غير أن كاسونا لا يدعنا نسرح فى عالم بديع صيغ من تهاويل الأحلام ، انه يردنا الى الواقع المر كما تردنا الحياة نفسها فى كثير من الأحيان . فالحقيقة تتكشف فى النهاية أمام عينى الجدة ولكنها ترفض واقعها البغيض وتؤثر المضى محلقة فى ذلك العالم الفردوسى المصطنع لو استطاعت.

مرة اخرى نرى هنا ذلك التزاوج بين عالم الواقع وذلك العالم الآخر عالم وعينا الباطن وأحلامنا الخفية وآمالنا التى لانعجز عن تحقيقها فى اطاره مادامت قسوة الحياة تحول بيننا وبين بلوغها فى واقعها. ومرة أخرى نرى كاسونا يلح على القيم الانسانية والروحية فيشيد بها ويرفعها ويرد اليها السعادة الحقيقية . أما الشر .. الشر المصمت الخالص فانه يرمز اليه بشخصية الحفيد الحقيقى فى قسوته الوحشية التى لا تكاد الرحمة تعرف معها سبيلا الى قلبه ، والصورة التى يرسمها كاسونا له صورة منفرة كريهة . وان كانت واقعية تماما . وكاسونا يرسم لنا هذه الصور من خلال حوار طبيعى لا افتعال فيه بعيد عن الخطابية أو اصطناع نزعة أخلاقية صريحة لا يمكن ان تتفق مع عمل فنى خالص مثل هذه المسرحية .

« الأشجار تموت واقفة » رواية يمكن أن تعتبر كاملة من ناحية الفن المسرحى ، وفيها يتمثل نضوج اليخاندرو كاسونا واستواء عمله الفنى ، هى رواية لا ينقصها شىء ولا يزيد على حاجتها شىء .. كل كلمة فيها قدرت بحساب ، وقصد من ورائها الى هدف ، والحوار فيها على طبيعيته نثر يكاد يصل الى سمو الشعر وثرائه وشفافيته ، وهذا هو ما يميز مسرح كاسونا بصفة عامة وان كانت هذه المسرحية هى جماع كل القيم التى يدين اليها كاسونا بشهرته ومكانته.

وقد مثلت هذه الرواية لأول مرة كما ذكرنا فى بوينوس ايرس سنة ١٩٤٩ وكان كاسونا يقيم أثناءها فى الأرجنتين ، ثم ريودى جانيرو (البرازيل) سنة ١٩٥٠ ، وفى لشبونة وبرلين وبرن وڤينا وهلسنكى سنة ١٩٥١ ، وفى روما ونابلى والبندقية بين سنتى ١٩٥١ و١٩٥٢ ، وفى لاهاى وامستردام وروتردام وجنيف سنة ١٩٥٢ ، وفى بروكسل سنة ١٩٥٥ وفى بلغراد سنة ١٩٥٦ وفى موسكو ولينينجراد وريجا وكوينجسبرج بين ١٩٥٦ و١٩٥٨ ، وفى براج سنة ١٩٥٧ وفى وارسو واثينا سنة ١٩٥٨ ، وفى مدريد مابين ١٩٦٢ و١٩٦٦ ، ويجرى الآن اخراجها فى صورة فيلم سينمائى فى اسبانيا .

الفصل الأول

« للوهلة الأولى يرى أننا فى مكتب كبير على الطراز الحديث ، عملى الطابع ، بسيط الخطوط ، يبدو كما لو كان لأحد كبار رجال الأعمال : « أرشيفات » معدنية ، وأدراج فيشات من تلك التى تدور حول نفسها ، وأجهزة تليفون ، وميكروفون مما يستخدم فى أمثال هذه المكاتب لنداء الموظفين والالقاء عليهم بالأوامر . الى اليمين — بالنسبة للممثلين أو اليسار بالنسبة للجمهور — يرى الباب المؤدى الى السكرتارية ، والى اليسار فى الناحية القريبة للجمهور الباب المؤدى الى مكتب المدير . وفى الناحية الواقعة فى قاع المسرح باب خاص للخروج . الجانب الأيمن من فضاء المسرح تشغله مكتبة ، والنصف الأيسر يرى فيه باب على هيئة نصف قوس تغطيه ستارة سميكة ، فاذا انفرجت هذه الستارة بدا من ورائها مخزن للملابس علقت فيه مجموعة من الثياب المتنوعة الغريبة ووضعت فيه مائدة صغيرة ذات مرآة قد ثبت الى اطارها انابيب الضوء «النيون» على غرار مايستخدم فى غرف تبديل الثياب فى المسارح . ويراعى ان يتسم المكان كله بسمة التناقض ، فبينما نرى فى المكاتب طابعا

بيروقراطيا جافا اذا بنا نرى هنا وهناك أشياء قد تناثرت بغير نظام كأنما قصد بها أن تضفى على المكان جوا خياليا حالما : شباك صيد ، وأقنعة مختلفة ، وتمثال نصفى لامرأة مما يستخدم فى محلات الأزياء مقطوع الرأس وقد أسدل عليه ثوب من قماش ، وكرة أرضية ، وأسلحة قديمة ، وخرائط صارخة الألوان لبلاد من نتاج الخيال ، وأمثال ذلك من هذا الخليط من الأشياء والتحف الغربية التى تتميز بها محلات العاديات والتحف الأثرية . فى مكان بارز ترى معلقة على الحائط صورة كبيرة للدكتور «آريل» بابتسامته التى تدل على الطيبة وبشعره الأشيب الأبيض ولحيته الطويلة التى تذكر المشاهد بصور القديسين والصالحين » .

« حينما يرفع الستار ترى موظفة الآلة الكاتبة وهى تبحث فى سرعة وضيق عن شىء يبدو انها لا تجده فى درج البطاقات ، ثم تتوقف وتنظر فى أوراق ملف وتعود بعد ذلك الى البحث فى البطاقات وقد تزايدت عصبيتها .. تدخل « ايلينا » السكرتيرة ، وهى امرأة ناضجة تجاوزت مرحلة الشباب وتبدو عليها مظاهر السلطة ، ومعها مجموعة من اللفات تشتغل بترتيبها فى أثناء حديثها » .

ايلينا : كيف الحال ؟ ألم تجديها بعد ؟

الموظفة : انها أول مرة يحدث لى فيها مثل ذلك .. انا متأكدة من ان هذه البطاقة قد كتبتها بنفسى ، ودرج البطاقات مرتب على طريقة رياضية بالغة الدقة بحيث استطيع ان اعثر فيه على أى بطاقة تطلب منى وانا مغمضة العينين . انى لا أفهم كيف أمكن اختفاؤها على هذه الصورة . .

ايلينا : أليس من المحتمل ، ان يكون قد وقع خطأ فى كتابة الملاحظة ؟

الموظفة : مستحيل . انها بخط يد الرئيس نفسه (تمد يدها اليها بشريط من الورق) : ٤/ب/٤٣ ، لا يمكن ان يكون هناك اى خطأ .

ايلينا : بل هناك خطآن .

الموظفة : خطآن ؟

ايلينا : الأول هو قولك «الرئيس» ، وهى كلمة ينبغى ان تتعودى على ألا تفوهى بها هنا . قولى فقط «المدير» . وأما الثانى فهو انك تبحثين فى درج البطاقات الزرقاء عن فتاة تبلغ ١٧ سنة ، ولهذا فان من الطبيعى ألا تجديها .. ان كل ما يتعلق بالفتيات القاصرات محفوظ فى درج البطاقات البيضاء .

الموظفة : يا الهى !.. ولكن .. ما الذى حل براسى اليوم ؟

ايلينا : ولتكونى على حذر فى مثل هذا الأمر ، فان القانون فى كل مايتعلق بالفتيات القاصرات صارم لا يلين .

الموظفة : انى كثيرا ما أنسى هذه النقطة الخاصة بألوان البطاقات .

ايلينا : احرصى على ان تذكرى ان أى خطأ فى هذا المكتب مهما كان صغره فانه قد يؤدى الى كارثة ، وان حياة كثيرين من الناس متوقفة

علينا ، ولكن طريقنا محفوفة بالمخاطر .. وربما اصبحنا جديرين بتقدير الانسانية كلها وامتنانها ، ولكن قد تنتهى الحال بنا كذلك الى ان يقذف بنا جميعا فى السجن فى لحظة واحدة .. لا تنسى هذه الحقيقة .

الموظفة : آسفة .. انى اعدك بألا يتكرر ماحدث .

ايلينا : هذا هو ما أرجو . والآن ، لنر ما اذا كان صحيحا ما قلت عن مدى ثقتك فى يديك .. ففى امام درج البطاقات الخاص بالقاصرات ، وانت مغمضة العينين ، واخرجى لى البطاقة ٤/ب/٤٣ .

الموظفة : (منفذة ما طلب اليها) أهى هذه ؟

ايلينا : عظيم جدا .. انى اهنئك . (تقرأ البطاقة) « ارنستينا بينيدا . أب غير معروف ، وأم معروفة الى حد يجاوز المألوف .. هاربة من منزلها . خطر يستلزم انقاذا عاجلا .. ينظر النموذج هـ/٤ » (تتحول الى البحث فى أحد الملفات الموضوعة أمامها وهى تردد) : نموذج هـ/٤ .. نموذج هـ/٤ .. هـ/٤ .. (يبدو انها عثرت على النموذج المطلوب ، فتلقى عليه نظرة ، ثم تقطب حاجبيها) آها ! الحالة فيما يظهر تنذر بالخطر (تسجل ملاحظات سريعة فى مفكرتها) .

الموظفة : أيمكن لى ان أوجه اليك سؤالا ؟ انا اعرف انه ليس لى ان القى مثل هذه الأسئلة ، ولكن

هذه الحالة هى نفسها التى رايت نفسى فيها من قبل ، ولذلك فان الفضول مستبد بى الى أقصى حد .

ايلينا : عليك أن تتعودى اطاعة الأوامر بلا سؤال ، ففى هذا الخير للجميع (تنتزع الورقة التى سجلت فيها الملاحظات من المفكرة وتسلمها الى الموظفة ومعها البطاقة والملف . الموظفة تتأهب للخروج) . وشىء آخر : اذا حضرت فتاة يبدو الحزن فى عينيها وهى ترتدى قبعة حمراء على الطريقة الفرنسية وفى يدها بطاقة زرقاء فأدخليها على الفور .

الموظفة : اهى الفتاة صاحبة باقة الورد ؟

ايلينا : وكيف عرفت ذلك ؟

الموظفة : ليس الذنب ذنبى . لقد سمعته عفوا دون تعمد منى حينما ورد فى حديث «الرئيس».

ايلينا : (مصححة) : «المدير» .

الموظفة : آسفة . (تخرج . ايلينا تجلس وتنهمك فى ترتيب الأوراق وتسجيل ملاحظات ... يدخل فى هذه اللحظة من الباب المؤدى الى السكرتارية رجل يرتدى زى القساوسة البروتستانت ، ويبدو تقمصه لشخصية القس من الاحكام والدقة بحيث يمكن الحكم عليه بأنه قسيس زائف . تبدو على تقاسيمه معالم التذمر والضيق الشديد) .

« ايلينا والقس البروتستانتى »

القس : هذا قد جاوز حد ما احتمل . انى أحتج .. بكل احترام ، ولكنى أحتج .

ايلينا : (دون ان تترك ما بيدها من عمل وبغير ان تعيره كبير اهتمام) مرة اخرى ؟

القس : لقد استدعيت الى هنا باعتبارى متخصصا فى اللغات ، فأنا اتقن تسع لغات حية وأربعا ميتة .. اربعون سنة من الدراسة المتواصلة .. خمس شهادات جامعية .. ولم كل هذا العناء ؟ .. الى متى سيظلون يكلفوننى بمثل تلك الأعمال الصغيرة التى لا تليق لمثلى ؟

ايلينا : كيف قلت ؟ اعمال صغيرة ؟ ازمة ضمير تعرضت لها سيدة اسكوتلاندية وشكوك فى العقيدة .. تسمى ذلك عملا صغيرا ؟

القس : ولكن الا يخطر لهم ان يكفوا عن احالة أمثال هؤلاء الموانس على ؟ لقد كان نصيبى منهن اربعا فى اسبوع واحد فقط ! واذا كان هناك شىء لا يطيقه أمثالى ممن كبرت سنهم ولم يتزوجوا بعد فهو امراة عانس .

ايلينا : هذا تلطف كبير منك !

القس : آه .. معذرة . لم اقصدك انت بهذا الكلام ، فأنت لست امراة .

ايلينا : شكرا .

القس : (محاولا التراجع) اقصد انك بمنزلة صديق .. او زميل . ولهذا فانى افتح قلبى لك واحدثك باخلاص . انى احتج ، واحتج واحتج ! (يمد يده الى ذؤابة الشعر المستعار المتدلية من احد صدغيه وينزعها . ايلينا تنهض)

ايلينا : خفض عليك ياسيدى القس المحترم .

القس : (فى انزعاج وهو ينظر من حوله ويخفض من صوته) لماذا دعوتنى القس المحترم ؟ هل هناك احد يخشى امامه الكلام ؟

ايلينا : لا احد .. فهدىء من اعصابك .

القس : (يتنهد فى ارتياح) آه !.. (ينتزع الذؤابة الأخرى من صدغه)

ايلينا : ولتغير ثيابك فى الحال . (تمد اليه يدها بورقة) انك اليوم مكلف بمهمة اخرى دقيقة.

القس : (فى يأس مستسلم) نعم .. فانا اعرفها سفينة نرويجية على وشك الوصول ! هل انا المكلف بالذهاب الى الميناء ؟

ايلينا : ليس لدينا احد غيرك يعرف لغة هؤلاء الناس .. تأمل انت مدى تأثر هؤلاء الفتيان حينما يفاجأون فى هذا المكان البعيد عن بلادهم بأغنية قديمة تذكرهم بأرضهم !

القس : لا اظنك ستزعمين لى الآن ان عملا كهذا كان يتطلب خمس شهادات جامعية !

ايلينا : (تاركا اللهجة الودود التى كانت تتحدث بها حتى الآن ومجيبة فى جفاء) ان لك هنا الحق فى ان تختار ماتريد : اما الطاعة العمياء ، واما التخلى عن الكفاح .

القس : النهاية .. ليكن مايكون فى سبيل المبدأ .. (يضع على المائدة انجيله ونظارته فى استسلام ، ثم يتجه الى ستارة مخزن الملابس، فيزيحها ، وتبدو من ورائها مجموعة غريبة متنوعة من مختلف ألوان الثياب .

يخلع الياقة المنشاة ، وبينما يواصل الحديث مع ايلينا ينزع عنه ملابسه الكنسية ويرتدى قميصا مخططا مما يلبسه البحارة ، ويلبس حذاء طويلا مما يستخدم للخوض فى الماء فيدخل رجليه فيه دون أن يخلع عنه البنطلون الذى يرتديه) .

ايلينا : هل تمكنت من ادخال الطمأنينة الى روح تلك السيدة ؟

القس : أى سيدة ؟

ايلينا : الآنسة ماكفرسون .. العانس الاسكوتلاندية .

القس : آه .. نعم ، أو هكذا اعتقد . لقد كانت حالة معتادة كثيرة الحدوث .. ولماذا قدرت اننى ربما لا أوفق ؟

ايلينا : لا ادرى . لقد خشيت أن تتعقد الأمور فى المناقشة الدينية اذ انك فى الواقع كاثوليكى المذهب وهى بروتستانتية .

القس : ليس هذا عسيرا على أستاذ متخصص فى اللغات . فالبروتستانتية ليست الا لهجة من لهجات الكاثوليكية .

ايلينا : اذن ، فمادام كل شىء قد تم على خير وجه فلم هذا التذمر والضجر ؟

القس : أتظنين انه ينبغى أن أسر واغتبط؟ انه لم يعتمد على حتى الآن الا فى أعمال يمكن أن يقوم بها المبتدئون . لماذا لم يشركونى فى «غنيمة» النادى البحرى ؟ هيه !.. لماذا استبعدونى من الحفلة الراقصة التى نظمتها السفارات ؟ لقد كان هناك ناس من كل بقاع العالم . وكانت تلك هى فرصتى الكبرى !

ايلينا : ان اهتمامنا فى تلك الليلة لم يكن موجها الى قاعة الرقص ، وانما فى المطابخ . فان أى خطأ فى تركيب « المخدرات » كان من الممكن أن يؤدى الى كارثة .. وبعد ، فهل هناك مزيد من الشكايات ؟

القس : نعم .. مسألة الأسماء .. انه لا اعتراض لى على أن يدعونى فى ساعات العمل : ف/٤٨، ولكن هنا فى الداخل .. وأنا بين الأصدقاء والزملاء ..

ايلينا : انه من الخير ألا يعرف أحد هنا اسم أحد ، فقد تؤدى الأسماء الى ألوان من الفضول تعرض عملنا للخطر ..

القس : (كانما اهينت كرامته) وهل تظنين أننى من الوشاة النمامين ؟

ايلينـا : لم يخطر لى ذلك على بال . ولـكن ما الذى يحدث لو أن أحدا منا لأى خطأ من الأخطاء وقع فى أيدى الشرطة ؟ .. ان التنظيم كله سينكشف أمره !

القس : (ينهض وقد بدا عليه الاقتناع) انتهينا .. يكفيك ما قلت . فى أى ساعة ستصل هذه الباخرة اللعينة ؟

ايلينـا : لعينة ؟ ! .. لماذا ؟

القس : معذرة . قصدت أن أقول « السعيدة » .

ايلينـا : ولماذا « السعيدة » ؟ لاتقل ذلك وعلى ملامحك هذا التعبير .ابتسم . ان الابتسامة المتفائلة تعتبر نصف عملنا .

القس : حسنا (يرسم على وجهه ابتسامة متكلفة) فى اى ساعة ينبغى ان يبكى هؤلاء الفتيـان النرويجيون من فرط الانفعال وهم ينصتون الى أغنية قديمة تذكرهم بوطنهم ؟

ايلينـا : هكذا أفضل .. (تنظر الى ساعتها) فى السـاعة الحادية عشرة . لديك من الوقت أربعون دقيقة. (يشعل القس الأضواء الحافة بالمرآة ويجلس أمامها ليصلح من (ماكياج) وجهه. فى أثناء ذلك يلمع ضوء أحمر منبعث من داخل أحد الكتب المرصوصة فى رفوف المكتبة

فيضىء ثلاث مرات متتالية ، بينما يسمع فى الوقت نفسـه صفير عال يتردد ثلاث مرات أيضا . يبدأ جزء من المكتبة فى التحرك ببطء الى الداخل منفرجا عن مدخل سرى يدخل منه «المهرج» وهو نموذج عادى متواضع من طراز المهرجين الذين يعملون فى «السيرك» ، يلبس « بابيون » كبير ويحيط عنقه بياقة منشـاة عريضة متدلية ، ويحمل فى يده عنقودا كبيرا من بالونات الأطفال الملونة . يعود البـاب السرى الى الانقفال من تلقاء نفسه بعد دخوله ، وتبدو رفوف المكتبة كما كانت)

(ايلينا والقس المهرج)

المهرج : سلاما أيها الرفاق .

ايلينـا : عليك السلام .

القس : عليك السلام .

المهرج : (يعلق بالوناته ، ويضع على المائدة قبعته الطويلة) قولى لى يا سـيدتى هل هـذه البالونات ضرورة لايمكن الاستغناء عنها ؟

ايلينـا : هل هذا احتجاج جديد ؟

المهرج : هو مجرد سؤال . فكل منا يشعر بما تقتضيه مهنته .. فهذه البالونات .. الحق أنها تبدو لى غير لائقة بمنظمة جادة ولابى .

ايلينـا : آه .. وأنت أيضا ؟ الظاهر أن العصـيان

والتمرد قد بدءا يتسربان الى هنـــا .. اذن فلتعلموا أيها السادة : لن يكون هناك كفاح ما لم تكن السلطة محترمة والأوامر مطاعة . فترووا فى الأمر مليا قبل أن تخطوا خطوة جديدة .

المهرج : اننى لم أفعل شيئا الا التوجه بسؤال .

ايلينـا : (فى لهجة صارمة آمرة) ولا حتى هـذا ! ان بابنا مفتوح أمام من هم مستعدون لخدمة قضيتنا فى تفان مطلق .. فاذا أراد أحـد الخروج فلن يطلب اليه الا القسم على شىء واحـد هو كل ما طلب اليه عند الدخول : الصمت المطبق . هل لدى أحد ما يريد أن يقول بعد ذلك ؟

المهرج : لا شىء ..

القس : لا شىء ..

ايلينـا : شـكرا . (تخرج . القس وقـد اسـتكمل « ماكياج » وجهه بالصاق لحية حمراء على وجهه ، يتقدم الى وسط المسرح وهو يلبس سترة جلدية . المهرج يجلس وقد بدا عليـه الملل . وهو فى أثناء حديثه يقوم فى طبيعية تامة بأغرب الأعمال دون أن يولى عناية ولامبالاة بما يفعل . فهو يدخل يديه فى جيوبه الهائلة ليبحث عن شىء فاذا به يخرج كتلا من الأشرطة الملونة ، والمراوح اليابانية والفـواكه ونايـا وطبلا ... الخ .. واغرب ما فى الأمر انه

لا يبـدو عليه الاهتمام بالقس بينما يتبـادل معه الحـديث ولا القس بدوره يبدى ادنى استغراب لما يقوم به المهرج من حيل صبيانية ووجه المفارقة هو أن القس يتحدث بأسلوب علمى جـاد كأنه يحاضر بينما يتمثـل فى المهرج الابتذال الساخر المستسلم)

(المهرج والقس)

القس : ان هذا الأمر يتزايد ثقله وتشتد وطأته يوما بعد يوم . والواقع انه ما كان ليتيسر علينـا تحمله لو لم نكن فى الحقيقة ممن يتعلقون بالمثل العليا .

المهرج : بصراحة .. سأقول لك شيئا : أما المثـل بالنسبة لى ... (يتكىء على عصاه فـاذا بها تتبطط فى الأرض ، ثم يلتقطها ويودعها جيبه) .

القس : أكان لديك عمل كثير ؟

المهرج : لا شىء .. عجائز ، واطفال ، وخادمات .. حفلة صباحية ! (يبدو كأنه يبحث عن شىء فى داخل جيوبه ، ثم يستخرج نايا ينفخ فيه مرة ثم يودعه جيبه الآخر) وانت .. مسرور من العمل ؟

القس : يبدو كأنى لم أخلق لهذا العمل .. لقـد ولدت للتدريس فى الجامعة . (فى حنين كأنه يروى ذكريات عزيزة) السوربون ، أو اكسفورد ، بولونيا ..

المهرج : وأنا ولدت للسيرك : هامبورج ، مرسيليا ، برشلونة .. (يبدأ اللعب ببعض المناديل التى لا تكاد تنزلق من يديه حتى نراها قد تغيرت ألوانها) .

القس : .. المكتبة الحافلة التى تصل رفوف الكتب فيها الى السقف . الأجراس الوقورة ... قاعات الدراسة القاتمة الخشنة ..

المهرج : قبة الخيش الكبيرة .. التنقل الدائم ... الطرق ..

القس : اربعون سنة وانا جالس مكب على البحث والدراسة .

المهرج : اربعون بلدا أجوبها على أقدمى .

القس : أما الآن ...

المهرج : انظر الى ما وصلت اليه حالنا يا رفيقى .. أتريد موزة ؟

القس : لا . شكرا (المهرج يقشر موزته ويشرع فى أكلها فى جد فلسفى) أنا أعرف ان علينا تبعة ثقيلة ازاء المجتمع . ولكن هذه الأسماء التى وضعوها لنا كأننا جواسيس .. أمن العدل أن يدعى رجل مثلى باسم « ف/٤٨ »؟

المهرج : ... وأنا ؟ أنا « س/٣٢ » ومع ذلك فانى صابر ...

القس : ولكن ... الا تشعر برهبة الموت وأنت مدفون تحت هذا الحرف وذلك الرقم ؟

المهرج : بصراحة .. سأقول لك شيئا : أما الألم القادم مما وراء الطبيعة .. (يواصل اكله للموزة)

القس : ان اسمى الحقيقى هوخوان . اسم عادى ليس فيه ما يلفت النظر . اليس كذلك ؟ ولكنه اسم انسانى .. نعم يا سيدى .... يوحى بالبشرية . آلاف ممن حملوا هذا الاسم الفوا كتبا ، وآلاف آخرون زرعوا أشجارا . ملايين من النساء هتفن بهذا الاسم فى أى ركن من أركان العالم قائلات : « أحبك ياخوان » . ولكن هل ترى امرأة واحدة خطر لها يوما أن تقول : « أحبك ياف/٤٨ » ان « خوان » اسم له طعم الناس .. أفراد الشعب ... وتشتم منه رائحة الخلود : هو الحديد ، هو خشب السرو ، هو خبز القمح أما « ف/٤٨ » فهو النايلون .

(المهرج يفرغ من أكل الموزة ، ثم يودع قشرتها فى جيبه) .

المهرج : أنا شخصيا يعجبنى النايلون . انه مريح ورخيص ... هو المستقبل .
(ينظف فمه ويديه بمنديل احمر ثم يلقيه فاذا به يعود الى كمه)

القس : لا ... لا تدعنى أعتقد اننى انا الوحيد الذى يشعر بألم المصيبة ! اتراك مستسلما الى الأبد لكونهم يسمونك « س/٣٢ » ؟

المهرج : لقد كلفنى ذلك بعض الجهد فى أول الأمر .

اذ انني حينما سمعتهم يدعونني بذلك لأول مرة ظننت انهم ينادون غواصة (يخرج علبه تشبة علب السجاير ، ولا يكاد يضغط عليها بين يديه ليفتحها حتى يشع منها ضـــوء ساطع) سيجارة ؟

القس : يجب ان نعود على هذه البيبة الملعونة (المهرج يشعل سيجارته بعود ثقاب يحكه فى مرفقه) ... — وعلى الغناء ، وربما على الرقص أيضا اذا اقتضت الحاجة . ولكن .. هذا الاسم ! .. هــذا الاسم ! كيف خطر لوليم شيكسبير ان يقول ان الأسماء لا تعنى شيئا ؟ (ينشد)

« سواء اكان اسمك مونتسكو او لم يكن فأنت أنت .
أما الاسم فما هو ؟ شيء لاقدم لهولايد
ولا ذراع .. ولا شخصية
ولا شيء مما يمت للناس بصلة » .

لا ... لا يمكن أن اوافق على هذا

المهرج : توافق من ؟

القس : شيكسبير .

المهرج : بصراحة .. سأقول لك شيئا : اما شيكسبير بالنسبة لى .. (يسد احدى أذنيه بسبابة يده فاذا بخيط طويل من الماء ينبثق من الأذن الأخرى) .

القس : بالنسبة لك ... ولكنه يعنى شيئا بالنسبة لى . اننى أحفظ كل نتاجه الأدبى عن ظهر

قلب وفى وسعى ان اسمعك كل آثاره . بل اننى تمنيت فى يوم من الأيام ان اكتب انا مثلها .

المهرج : (يلتفت اليه مواجها له لأول مرة) نحن لاشيء يا اخى العزيز . اما انت فأستاذ بغير دروس واما انا فمضحك لم يفـــد فى قلبه مكان للضحك . ولهذا فعلينا ان نرفع الكلفة فيما بيننا . (يلتقط طبله ويحمله فى راحة يده فاذا به يدور ويتحرك وهو ناظر اليه . ثم يسمع صوت السكرتيرة قادمة من الخـــارج فيعتدل فى جلسته ويدس طبله فى جيبه ويشير الى محدثه اشارة يدعوه فيها الى التزام الصمت . القس يغلق ســـتار مخزن الملابس . تدخل ايلينا ومعهـــا الفتاة التى يبدو الحزن فى عينيها والتى ترتدى قبعة حمراء على الطريقة الفرنسية . هذه الفتاة سندعوها مقدما باسم ايزابيل) .

(القس والمهرج وايلينا وايزابيل)

ايلينـــا : تفضلى يا آنسة . انه من دواعى سرورى حقا انك اقدمت على الحضور للقائنا . اتسمحان بتركنا وحدنا ؟ القس ينحنى فى أدب والمهرج كما لو كان يحيى الجمهور فى حلبة السيرك يجمع بالوناته ويتجه الى الباب الثانى على اليسار وراء القس ثم يضغط بطنه باصبعه فينطلق منها صوت كنفير السيارات . القس

يفسح له باب الخروج . أيزابيل تنظر اليهما وهما خارجان فى تحير ودهشة)

(ايزابيل وايلينا)

ايلينا : اجلسى من فضلك .

ايزابيل : (وهى مازالت واقفة) : أكنت انت التى دعوتنى ؟

ايلينا : انا لا أستطيع أن أتصرف من تلقاء نفسى . اننى اطيع الأوامر فقط . ولكنى واثقة من أن السيد المدير سيسعد كثيرا حينما يعلم بمجيئك . لحظة عن اذنك (تتجه الى الميكروفون) الادارة ؟ (يسمع من الجهاز صوت المدير) .

صوت : ماذا يا ايلينا ؟

ايلينا : لدى خبر عظيم لك يا سيدى المدير .

صوت : اذا أردت أن تبلغينى أحسن خبر فى هذا اليوم فقولى لى أن ذات العيون الحزينة التى ننتظرها قد وصلت .

ايلينا : هو هذا بالفعل . انها هنا .

صوت : حييها باسمى وقولى لها انه سيكون لى شرف لقائها والحديث معها ... من كل قلبى .

ايلينا : تحت أمرك يا سيدى المدير . (تقفل الجهاز) أسمعت ؟

ايزابيل : اننى حقا لا اعرف كيف اعبر عن شكرى لكم ولكن ... هل يمكن ان اعرف من الذى خاطبنى ولماذا دعوتمونى الى الحضور هنا ؟

ايلينا : سيشرح لك السيد المدير كل شىء . الا تريدين الجلوس ؟ يبدو عليك التوتر واضطراب الأعصاب .

ايزابيل : نعم ، ولكنى قبل كل شىء متحيرة لا افهم شيئا . لقد كان موعدا بالغ الغرابة ، وفى لحظة من حياتى ... لحظة لا أعرف كيف أصفها ... (تكتم زفرة شديدة وتتهالك على معقد) .

ايلينا : مهلا مهلا يا آنسة ... خففى عليك ! انى أؤكد لك أنك هنا بين أصدقاء ....
ومن يدرى ؟ فقد تصبحين يوما زميلة لنا ؟ أتريدين تناول شىء ؟

ايزابيل : لا ... شكرا (تبتسم فى اعتذار بينما تجفف دمعة أغرورقت بها عيناها) .. لقد انتهت هذه الأزمة .

(ايزابيل وايلينا والموظفة ، ثم بالبوا)

الموظفة : (تظهر على الباب) هنا سيد يرغب فى التحدث الى الادارة .

ايلينا : دعيه ينتظر .

الموظفة : انه قادم بتوصية من الدكتور آريل .

ايلينا : من الدكتور آربيل نفسه ؟ أدخليه اذن فى الحال . تفضل يا سيدى .. تفضل (يدخل السيد بالبوا وهو كهل انيق الملبس بادى الدماثة يلوح عليه انه خجول ، وهو يحمل فى يده بطاقة زرقاء) .

بالبوا : شكرا يا آنسة .

ايلينا : فرصة سعيدة . انت يا سيدى صديق للدكتور آربيل ؟

بالبوا : نعم . لى هذا الشرف .

ايلينا : اذن فانى أظن ان الدكتور قد أطلعك على .. أليس كذلك ؟

بالبوا : لا . لم يخبرنى بشىء . لقد اعطانى هذا العنوان فقط ، وقال لى انكم ستطلعوننى على كل شىء .... هذا اذا كان فى وسعكم ان تقوموا بشىء من أجلى .

ايلينا : أرجو ذلك . خذى المعلومات يا أميليا (بالبوا يسلم بطاقة الى الموظفة ، فتجلس هذه الى الآلة الكاتبة فتنقل المعلومات المثبتة فى البطاقة لايداعها الأرشيف . ايلينا تدعو بالبوا الى الجلوس ثم تقول ناظرة الى ايزابيل لست أدرى ما اذا كان من حقى ان اقدم كلا منكما الى الآخر ، او اذا كنتما تفضلان الاحتفاظ بالأسماء . على أى حال يمكن أن تعتبرا نفسيكما صديقين .

بالبوا : لى الشرف .

ايزابيل : شكرا ياسيدى (بالبوا يجلس الى جوار ايزابيل لحظة صمت قصيرة . من الباب الأيسر يظهر القس فى زى الصيادين النرويجيين) .

(المذكورون من قبل والقس)

القس : لحظة واحدة يا زميلتى .. ايكفى ان اقوم بالغناء أم يجب على حمل الأكورديون ايضا)

ايلينا : (فى حرج من أمرها وقد فاجأتها كلمات القس البعيدة عن تقدير الموقف) ليس هذا هو الوقت المناسب لطلب التعليمات . انتظر هناك فى الداخل !

القس : آسف (يخرج . ايلينا تبتسم ابتسامة بلهاء وهى مضطربه لا تعرف كيف تفسر هذا الموقف الفريب) .

ايلينا : انه ... صديق آخر (ترفع عن المنضدة القبعة الطويلة اللامعة لكى تحملها اليه ، واذا بأرنب أبيض يخرج من القبعة فتسرع محاولة اخفاءه فى اضطراب وعصبية) .. معذرة .

... هؤلاء الموظفون ! .. (تخرج حاملة القبعة من الباب الثانى على اليسار . أما ايزابيل والسيد بالبوا اللذان أدهشهماظهور النرويجى البحار والأرنب الخارج من القبعة فانهما يتبادلان النظرات فى حيرة ، ثم يعودان

لتأمل المكان كله فى نظرات قلقة فاحصة
تنتهى الموظفة من نسخ المعلومات على الآلة الكاتبة وتعيد البطاقة الى السيد بالبوا) .

الموظفة : انتهينا ... شكرا جزيلا يا سيدى (تضع البطاقة التى نسختها فى موضعها من درج الأرشيف . يدق جرس التليفون فتمسك السماعة بطريقة آلية) تكلم ... نعم . أزا نفسى كيف ؟ لا .. لا يمكن ! ان موضوع الأطفال الذين خطفوا قد حفظ بصفة نهائية النتيجة سلبية . آه ! ... هذا اذن شىء آخر . انتظر قليلا فانى اعتقد ان المعلومات هنا تحت يدى (تتناول فهرسا للارشيف مرتبا على الحروف الأبجدية فتقلبه باصبعها دون أن تدع سماعة التليفون وهى تردد) « غرزة » الأفيون .. « غرزة » الأفيون .. « غرزة » ... (تدخل ايلينا فى هذه اللحظة فتفاجىء الموظفة وهى ترتكب هذه الحماقة الجديدة . تتقدم بسرعة الى التليفون)

ايلينا : اتركى أنت هذا ! (تتناول السماعة وترد فى لهجة تحاول أن تبدو لطيفة ولكنها لهجة من التكلف بحيث تدل بوضوح على انه لطف أكاذب) آلو .. آه هذا أنت ؟ لى الشرف دائما . ولكنى آسفة لأن هذا لا يمكننى فى اللحظة الحاضرة . لا .. لا تلح كثيرا من فضلك (تضغط على الحروف مرددة) انى أكرر لك ان ذلك مستحيل فى هذه اللحظة

سأتصل انا بك بالتليفون . العفو (تضع سماعة التليفون) هيا بنا يا آنسة . ان العمل لا يطيق الانتظار . بعد اذنكم (تتردد لحظة ثم تعلق سماعة التليفون وتخرج مع الموظفة . ايزابيل والسيد بالبوا يتبادلان النظرات من جديد وقد تزايدت حيرتهما يجفف هو عرق جبينه بمنديل بينما تنقر هى ظهر المنضدة بأصابعها فى عصبية ظاهرة ، ثم يبتسمان ابتسامة متكلفة دون أن يعرفا ما يقولان . وأخيرا يخطو السيدبالبوا الخطوة الأولى فيقول فى لهجة من يدلى بسر الى موضع ثقة) .

(ايزابيل وبالبوا)

بالبوا : اخبرينى يا آنسة : ألديك فكرة ولو تقريبية عن هذا المكان الذى نحن فيه ؟

ايزابيل : أما أنا فلا . وأنت ؟

بالبوا : ولا أنا . أمر غريب . أليس كذلك ؟ ليس بيننا من يعرف أين نحن ، ومع ذلك فان كلينا هنا .

ايزابيل : الا يمكن أن نكون قد أخطأنا العنوان ؟

بالبوا : فى وسعنا أن نتحقق من ذلك . ما هو العنوان الذى معك ؟

ايزابيل : (تخرج من حقيبة يدها البطاقة الزرقاء) شارع أروموس رقم ٢٤٤٨

بالبوا : (ينظر الى بطاقته) ٢-٤-٤-٨ مضبوط . ولست اظن ان فى المدينة كلها شارعا يحمل اسم « اروموس » غير هذا .

ايزابيل : وليس هناك شك فى أن الشارع كله ليس فيه الا رقم ٢٤٤٨ واحد .

بالبوا : اذن فاننا لم نخطىء ، لاجدال فى هذا . ولكن أين نحن ؟ وما معنى هذا المزيج الغريب من المكتب ومستودع الملابس المستعملة ؟

ايزابيل : هذا هو الذى كنت أسائل نفسى اياه منذ ان وصلت .

بالبوا : و (غرزة) الأفيون هذه ؟ .. وأولئك الأطفال المخطوفون ؟ ... لست اظنك توافقين على أن كل هذا أمر طبيعى معقول .

ايزابيل : ومن يدرى ؟ فان الكلمات المتقطعة مثل تلك التى سمعنا ربما أدت الى ايقاع المرء فى الخلط والتشوش .

بالبوا : أنا مسلم بذلك . ولكن ... اترين من الطبيعى أن تربى الأرانب فى قبعة طويلة ؟

ايزابيل : ربما كان هذا أقل خطرا من غيره . فان أكثر ما يريبنى من هذا الأمر هو شىء آخر ذلك الصياد .

بالبوا : لماذا ؟

ايزابيل : لأن هذا الصياد النرويجى الذى خرج منذ

لحظة لم يكن حينما دخل نرويجيا ولا صيادا بل كان قسا بروتستانتيا .

بالبوا : (ينهض مأخوذا) يا للشيطان ! ... من الذى قال لك هذا ؟

ايزابيل : لقد رأيته بعينى على أحد مقاعد المنتزه : كان قسا بروتستانتيا يتحدث الى انجليزية حمراء الشعر . اعنى أن أقول ... هذا اذا لم تكن تلك السيدة متنكرة هى الأخرى فى غير زيها .

بالبوا : ولكن ... لم يعد هناك شك اذن . لقد وقعنا فى شرك (يسمع من الداخل صوت أكورديون)

ايزابيل : هس ! ... فهو قادم (يجلس بالبوا بسرعة محاولا اصطناع مظهر طبيعى . يمر القس وقد استكمل زيه الذى يتميز به بحارة أهل الشمال من أولئك الذين يدعونهم « ذئاب البحار » ، وهو يأتى مثبتا بين كتفه وخصره الأكورديون الذى توشح به . يتوقف قليلا ناظرا فى رثاء الى الفتاة والرجل)

(ايزابيل وبالبوا والقس)

القس : هذا يومكما الأول . أليس كذلك ؟

بالبوا : (محاولا استدراجه) نعم ، اليوم الأول .

القس : (كما لو كان يفضى اليهما بسر غامض) اذا

أردتما نصيحة مخلصة فانسحبا من هنـــا قبل ان يفوت الوقت . والا فانظرا الى : أربعون سنة من الدراسة لكى أصل الى مثل هذا العمل ... والآن الى حانة الميناء لكى اقوم بالغناء من أجل هؤلاء الأولاد الشقر حتى تسيل من عيونهم دموع فى‌لون قطرات البيرة . (يخرج من مكتب السكرتيرة وهو يتمتم صارفا على أسنانه) : ف/٤٨ ... ف/٤٨ (ايزابيل وبالبوا يتابعانه بنظرهما ، حتى اذا خرج عادا يتبـــادلان النظرات فى ذهول) .

(بالبوا وايزابيل)

بالبوا : (يردد بشكل آلى) : ف/٤٨ ... أفهمت شيئا ؟

ايزابيل : (فى لهجة عزم وتصميم) : أما انا فنعم : انه يجب علينـــا أن نخرج من هنا قبل أن يفوت الأوان (تنهض مستعدة للجرى هاربة ولكنه يوقفها) .

بالبوا : من هنا لا ! أتريدين أن تقذفى بنفسك فى اجوف الذئب ؟ خفضى من روعك يا آنسة فاننا طالما احتفظنا براسينا على أكتافنا فما علينـــا الا ان نحسن استخدامهما فى ثبـــات وهدوء أعصاب . لنترو فى الأمر . (يتنفس تنفسا عميقا ليهدىء هو من نفسه ثم يفكر فى صوت عال) لأول وهلة يبدو ان كل

ما نشاهده هنا لا يمكن أن يحدث الا فى مسرح أو فى استديو سينمائى أو فى سيرك

ايزابيل : ليته لم يكن اكثر من هذا .

بالبوا : ومع ذلك فان من الواضح اننا لســـنا فى سيرك ولا مسرح ولا فى استديو .

ايزابيل : نعم . هذا واضح .

بالبوا : وليس من المحتمل اننا ازاء محفل ماسونى .

ايزابيل : أو لعلها فرقة مذهبية ؟

بالبوا : أى فرقة ؟

ايزابيل : وما يدرينى ؟ ربما كانت سرية .

بالبوا : دينية ؟ ليس فى عصرنا هذا ما يسمح بمثل ذلك .... سياســـية ؟ أم تراها منظمة ارهابية ؟

ايزابيل : منظمة ارهابية تعمل ضد كهل مسن وامرأة مسكينة وحيدة ؟ لا اظننا نستحق كل هذا العناء .

بالبوا : « فى يأس» : ولـــكن أين اذن زججنا بأنفسنا ؟ اننى رجل مهمل لا اخلو من الغفلة ولعلى قد أخطأت . أما انت .. فهل من الممكن أن تكونى قـــد أتيت الى هنا دون ان تعرفى الى أين تقدمين .

ايزابيل : لقد كنت فى اللحظة التى دعونى فيها الى القدوم فى حالة من اليأس لا تسمح لى بأن ارفض . ولو انهم ضربوا لى موعدا فى تلك

اللحظة على أبواب الجحيم لما ترددت فى الذهاب ، ولكان الأمر بالنسبة لى سواء .

بالبوا : ومن الذى ضرب لك هذا الموعد ؟

ايزابيل : لست أدرى . لقد كان صوتا مجهولا .

بالبوا : هذا هو ما تصورته . مستخدمين وسائل التهديد ؟

ايزابيل : بل على العكس : بعبارات معسولة ووعود تقطر طلاوة وعذوبة .

بالبوا : آه .... كان عليك أن تقولى ذلك منذ البدء أتدركين الآن أيتها الطفلة ماتتعرضين له من خطر ؟ فتاة شابة جميلة ... وحيدة كيف لم يراودك الشك فى أمر هذه الخدعة المظلمة ؟

ايزابيل : (فى هلع وهى تجرى الى جواره محتمية به) ربا للمصيبة ... خدعة لاختطافى ؟

بالبوا : وهل هناك تفسير آخر معقول ؟ ولكن لا تخافى ، صحيح انى كهل قليل الحيلة ولكنى مع ذلك رجل لا تنقصه المروءة . وليجرؤ هؤلاء المجرمون على مسك بسوء (فى هذه اللحظة يعود الضوء الأحمر الى السطوع من داخل الكتاب ثلاث مرات ، ومع الضوء يتردد الصفير المعهود ثلاث مرات ، وحينئذ يبدأ الباب السرى للمكتبة فى الانفراج .. يتراجع بالبوا وايزابيل فى رعب شديد وكل

منهما يشير بصورة آلية الى الآخر لكى يلزم الصمت ، ثم يعودان الى مقعديهما . من المدخل السرى يدلف « الشحاذ » وهو شخص بالغ القذارة ، وان كان مظهره من الاسراف فى المبالغة بحيث يدل على الزيف والاصطناع ، وهو يحمل عباءة مليئة بالبقع وعلى رأسه قبعة عريضة من الفلين وعلى احدى عينيه قطعة من القماش الأسود يتصنع بها العور) .

(ايزابيل وبالبوا والشحاذ)

الشحاذ : السلام ! (يدخل فى هدوء طبيعى تمامادون أن يعيرهما ادنى انتباه ، ويتقدم الى المنضدة حيث وضعت صينية من الفضة فيشرع فى استخراج ما احتوت عليه جيوبه العميقة ويودعه على الصينية : عقد من اللآلىء وساعات متعددة لها سلاسل وبعض المحافظ فاذا فرغ من ذلك ادار رقما فى قرص التليفون) آلو ! هنا س.س/٢ . المهمة الموكولة الى قد تم انجازها دون متاعب ولا تعقيد . لا . لتكن مطمئنا لم يتبعنى أحد أنا مسؤول . شكرا . (يخلع قطعة القماش التى غطى بها عينه ثم يتوجه الى الباب الأيسر ولكنه يتوقف فجأة أمام بالبوا ويرمقه بنظرة ملؤها الاعجاب) .

مضبوط ! .. مضبوط ! ... مضبوط ! .

اكتشـــاف حقيقى !... (يتقدم خطوة مادا اصبعه اليه) أنت الكولونيل ذو الجروح السبعة الذى أتى من أجل أصحاب ذكريات الحرب . اليس كذلك ؟

بالبوا : ماذا ؟

الشحاذ : آه ... لست أنت ؟ خسارة !.. لقد كنت خير من يصلح لهـــذا الدور لو أنك أكملت مظهرك بلحيـة مدببة بيضاء . (متجهـــا الى ايزابيل) أهلا بالزميلة ! (يخرج . لا يكاد الباب يغلق حتى ينهض بالبوا شاحب الوجه وقد بدا عليه أنه قد اكتشف سرا) .

(ايزابيل وبالبوا : حوار سريع جدا)

بالبوا : أخيرا !... هل اتضـــح لك السر ؟ لقـــد وقعنا فى قبضة عصابة من المجرمين !

ايزابيل : علينا الخروج من هذا الكهف بأسرع طريقة ممكنة !

بالبوا : ولكن من أين ؟ الا تدركين انهم الآن قـــد سدوا علينا كل الأبواب ؟

ايزابيل : ربما كانت هناك نافذة (تتوجه الى ســـتار مخزن الملابس وتزيحه ثم تطل عليه برأسها وتطلق صرخة . السيد بالبوا يغطى عينيه بكفيه كما لو كان يحجب نظره من مشـــهد رهيب) .

بالبوا : لست فى حاجة الى أن تشرحى لى شـــيئا : جثة رجل مشنوق !

ايزابيل : لا ... مخزن ملابس : ثياب تنكرية وشعر مستعار واقنعة ...

بالبوا : هـــذا هو ما كنت أتصـــوره : عصابة من المحتالين .

ايزابيل : (تقفل الستار) وماذا لو استنجدنا بالشرطة بالتليفون ؟

بالبوا : أتظنين انهم اغبياء . لابد أنهم قطعوا الأسلاك

ايزابيل : ولو صرخنا نطلب النجدة ؟ (تهم بالصياح فيوقفها ويقول خافضا صوته) :

بالبوا : أجننت ؟ لو فعلت فانهم سينقضون علينـــا الآن بلا ابطاء !

ايزابيل : ربما كان لنا مخرج من هذا الباب السرى . (تتحسس المكتبة) لا بد أن يكون هنا زرار له .

بالبوا : الزمى الهدوء ! ماذا يكون لو اخطأت الزرار وانفجر شىء نطير معه شظايا ؟

انتظرى . لندرس الموقف فى اتزان . (يعودان وقد استبد بهما الذعر ، وفى هذه اللحظة تسمع صرخة متقطعة تـــدوى فى مكتب السكرتارية ،ويفتح الباب بركلة قدم ويدخل « الصياد » وهو يجر وراءه كلبين قد ربطا

بسيرين من الجلد ، وهو يرتـــدى بنطلونا قصيرا من قماش سميك وقد توشح بجعبـــة وحمل بندقية وعلى رأسه قبعة من الريش. الصياد ذو شخصية دافقة الحيوية ، وهو يقتحم الفرفة فى صياح وجلبه راكلا كل ما تقع عليه قدمه بدا عليه أنه يكاد يتفجر مرحا)

(ايزابيل وبالبوا والصـــياد)

الصيـــاد : ألم اقل انا ذلك ؟ نجاح كامل ! بفضلى انا أنا وحدى ! وهنـــاك بعد من يسىء القول فى قيمة الحافز الشخصى ! اتسمح يا سيدى بحمل هذا لحظة (يسلم قياد الكلبين لبالبوا فلا يجرؤ هذا على الاعتراض وقد اســـتبد به الذعر من الكلبين ومن صـــاحبهما على السواء . ينقض الصياد على ســـماعة التليفون وهو يرفع صوته بغناء يقلـــد فيه مغنى الأوبرا الايطالية) فيجاروكوى Figaro qui فيجارولا Figaro La الو ! . قسم المعدات ؟ نعم . أنا نفسى . ســـعيد جدا ... الا تظهر السعادة من نبرات صوتى سجل ما أقول بسرعة : أريد فى فجر الغـــد ستة وثلاثين أرنبا . كيف ؟ لا يا صديقى الطيب . والا فأى فائدة فى أن تأتينى بها مذبوحة ؟ أريدها حية ... نعم ، حية .. متحركة الذيول ! ... اتفقنا . (يهم بانزال السماعة ثم يتوقف فجاة كأنما تذكر شيئا

قد أوشك على نسيانه) آه ... انتظر قليلا شىء آخر : انى محتاج لمزيد من الكلاب .. كل ما تستطيع امدادى به منها : ثمانية كلاب ... أربعة عشر كلبا .. خمسين كلبا ! .. جياع ؟ لا يهم ، فانى سأتكفل بتوفير الطعام لها (يضحك) نعم ... اعتبر نفسك مدعوا من الآن . تحت امرك يا زميلى العزيز (يضع سماعة التليفون ، ثم يسجل شـــيئا فى مفكرته بسرعة ، ويتحدث معلقا فى حماس) لقد كان شيئا بالغ الروعة ... معجزة ! . اليس كذلك ؟ آه لو أنه قدر لكما رؤيته ! . اربعة رجال توفرت لهم الســـعادة وبأقل النفقات الممكنة ! (يتجه الى بالبوا لـــكى يتسلم منه قياد كلابه وهو يرفع صـــوته بالغنـــاء) « لوتشـــيفانو لى ســـتيلى «Lucevano le Stelle» .. شكرا ياسيدى شكرا جزيلا لتلطفك ! (يصفق بيـــده فى شـــدة . على انه حينما يلاحظ دهشـــة بالبوا وايزابيل فانه يرمقهما فى حذر وتوجس ثم ينظر الى الأبواب ويخفض صوته متحدثا فى لهجة من يرفع الكلفة) جديدان فى المهنة؟

ايزابيل : (فى صوت لا يكاد يبين) جديدان .

الصيـــاد : ولكن .. بدأتما العمل فعلا أم أنكما مازلتما فى مرحلة المراقبة ؟

بالبوا : بين بين .

الصيـــاد : آه .. تحت التجربة .

ايزابيل : تحت التجربة !

الصياد : مزيدا من الشجاعة يازميلى الجديدين ، ان البداية هى اصعب ما فى الأمر (يتوجه بالخطاب الى الكلبين) الزم الهدوء يا(روميو) هيا بنا يا «جولييت» . (يفتح باب الادارة بركلة اخرى من رجله وهو يصيح) سيدى المدير !.. سيدى المدير !.. (يختفى وهو يطلق صرخاته العالية المتقطعة التى أعلن بها دخوله ، ايزابيل تنهض من مقعدها تنظر اليه فى ذهول . بالبوا يرتمى فى اعياء على كرسى)

(ايزابيل وبالبوا)

بالبوا : لافائدة من مواصلة البحث . . ليس مانرى هنا فرقة دينية ولا محفلا ماسونيا ولا وكر مجرمين . ولكن مايكون اذن ؟ نورا يا رب يا رب تهدينا به ! .

ايزابيل : (تقترب منه فى صوت تبدو فيه الرجفة) الا يحتمل أن نكون فى حلم ؟

بالبوا : ولكن نحن الاثنين فى وقت واحد ؟

ايزابيل : ومع ذلك فان هذا العالم الغريب الذى تضطرب فيه الثياب والشخصيات لايرى الا فى الأحلام .

بالبوا : (يجفف عرق جبينه فى استسلام ويأس) انى لم أعد قادرا على فهم شىء عن اى شىء

ولو أن ذلك الباب فتح فى هذه اللحظة ودخل منه نابوليون ليسألنى : كم الساعة ؟ لما تحركت شعرة واحدة من رأسى .

ايزابيل : (وقد بدا كانما استولت عليها فكرة ملحة) نابوليون .. نابوليون .. نابوليون .

(ترفع يدها الى شفتيها كاتمة صرخة توشك أن تنطلق وقد فاجأتها فكرة) لقد اهتديت الى الحقيقة !

بالبوا : أى حقيقة ؟

ايزابيل : ولكن كيف لم تخطر ببالى من قبل ؟ انه كان الاحتمال الوحيد .

بالبوا : أى احتمال ؟ تكلمى وافصحى أخيرا عما هناك !

ايزابيل : (تمسك بذراعه بشدة) ألم تسمع عن خبر ذلك المستشفى للأمراض العقلية الذى أثار فيه جميع المجانين فأوثقوا الممرضين بالحبال واحتلوا أماكنهم ؟

بالبوا : (ينهض وقد سرت فى جسده قشعريرة) : لا . .

ايزابيل : هؤلاء هم قادمون مرة أخرى . لقد وقعنا بين براثن عصابة من مجانين مطلقى السراح (تسمع أصوات عواء كلاب . النباح يقترب ويشتد) الكلاب ! .. الكلاب الخمسون الجائعة !

.. (تجرى الى مكتب السكرتارية وقد اشتد بها الهلع ، وتحـاول اقتحامه ولكنها تجـد الباب مغلقا . تدق بيديها وهى تصرخ صراخا متواليـا حتى تسقط جاثيـة على ركبتيها فى تهالك واعياء) النجدة ! افتحوا الباب النجدة ! ..الكلاب ! .. (ايلينا تفتح الباب ايزابيل تتراجع فى حركة غريزية . اصوات نبـاح الـكلاب تخفت بالتدريج حتى تختفى تمـاما) .

(ايزابيل وبالبوا وايلينا ، ثم المدير)

ايلينـا : ولكن ماالذى حدث ياآنسة ؟ ماهذا الصياح هل اصابك شىء ؟

بالبوا : وتسالين أنت عما حدث ، وانت مدبرة كل هذا افسحى الطريق وتنحى عن ذلك البـاب !

ايلينـا : لست افهم شيئا .

بالبوا : بل تفهمين اكثر مما ينبغى . ان هذه الفتاة قد اتت الى هنا ضحية لخديعة دنيئة . ولكنها ليست وحيدة . وان لهـا الحق فى الخـروج من هنـا ، وستخرج معى . تنحى عن الباب (يفتح الباب الأيسر ويظهر المدير قائلا فى لهجة آمرة وان كانت تتميز بالهدوء والرزانة) .

المـدير : الم تسمعى يا الينا ؟ دعى الباب وافسحى الطـريق .

ايلينـا : (تحنى راسها فى طاعـة واحترام) سيدى المدير .. (تفسح الطريق) .
ايزابيل وبالبوا يلتفتان الى المدير . وهـو عكس ما كان ينتظر رجـل فى مقتبل العمر باسم الوجه يوحى مظهـره بالثقة وينم عن الطيبة انيق فى غيـر تكلف . يشيع وجوده الهـدوء والطمانينة على الجـو المتـكهرب المشحون . وسنطلق عليه اولا اسم ماوريثيو)

ماوريثيو : ارجح انه حدث هنـا سوء فهم اود الاعتذار عنه . وللسيد الحق فى أن ندلى اليه بتفسير (يتقدم وقـد علت شفتيه ابتسامة) واول ما اريد التعجيل بايضاحه هـو انه لاحقيقة لما قد سبق الى ذهنك الارتياب فيه . لست هنـا بين عصابة من الخـاطفين ولا المجرمين ولا المجانين . واما هذه الفتاة فانهـا لم تأت الى هنا ضحية لخدعة دنيئة . بل انهـا فى طريق الخلاص . (متجها الى الفتاة) ولكن اذا كنت قـد ندمت على المجىء واذا كنت تفضلين الحياة كما ظللت تعيشين حتى الأمس فان باب الخروج امامك مفتوح ولك القـرار الأخير (لحظة تردد . بالبوا يتقدم خطوة نحو البـاب ويمنح ذراعه لايزابيل) .

بالبوا : اتودين ان نذهب ؟

ايزابيل : (دون ان ترفـع عينها لحظـة واحـدة عن ماوريثيو منذ دخوله تقول فى عزم وتصميم) لا الآن اريد معرفة كل شىء (تتقدم نحـوه)

لماذا قلت لى « اذا كنت افضل الحياة كما ظللت اعيش حتى الأمس » ؟ ومن انت ؟

ماوريثيو : وما قيمة ذلك ؟ ليس الأمر متعلقا بحياتى انا ، بل بحياتك انت .

ايزابيل : وما الذى تريد معرفته عنى ؟

ماوريثيو : شىء واحد فقط . ولكنه امر من الخصوصية بحيث لايحسن بنا الخوض فيه امام شهود (ايزابيل تتردد لحظة دون أن تحول نظرها عنه . ثم تقترب من بالبوا وتقول فى رجاء)

ايزابيل : اتركنا لحظة . ارجوك .

بالبوا : هنا ؟

ايزابيل : نعم لست خائفة . ان هذا الرجل لا يكذب انا واثقة من ذلك .

ماوريثيو : رافقى السيد يا الينا . ولا تخفى عنه شيئا . قولى له الحقيقة كلها بغير مواربة .

بالبوا : (لايزابيل) سأكون فى انتظارك .

ايزابيل : شكرا . لقد كنت اول رجل ، بل الرجل الوحيد الذى لم يتردد فى الدفاع عنى (تشد على يديه فى امتنان) شكرا لك . (بالبوا يقبل يدها . يحنى راسه محييا المدير ويخرج مع ايلينا) .

(ايزابيل وماريثيو)

ماوريثيو : هادئة الأعصاب الآن ؟

ايزابيل : هادئة .

ماوريثيو : الا يساورك الخوف حقا ؟

ايزابيل : لا . ولكن ما اشعر الآن به اعمق من الخوف بكثير . لست أدرى ما أنت مقدم على قوله لى ولكنى أحس أن حياتى كلها متوقفة على هذه الكلمات . فقلها لى .. ارجوك !

ماوريثيو : أجيبى أولا على هذا السؤال (يتقدم نحوها خطوة) ما الذى حدث لك مساء الأمس يا آنسة « كنتانا » .

ايزابيل : (تتراجع فى اضطراب وعصبية) : لا .. لا تسألنى عن ذلك . بأى حق توجه الى هذا السؤال ؟

ماوريثيو : هو سؤال ضرورى . أجيبى .

ايزابيل : دعنى لا تحملنى على تذكر ذلك . (تتهالك على مقعد وهى تنفث زفرة مختنقة)

ماوريثيو : هيا ! .. لا تكونى طفلة . انظرى الى عينى : فهما ليستا عينى محقق ولا قاض . اعترفى بلا خوف ما الذى حدث لك بالأمس ؟

ايزابيل : لقد كنت فى أقصى درجات اليأس .. لم اكن استطيع تحمل المزيد ! اننى لم يكن لى أبدا بيت ولا أسرة ، ولا أخ ، ولا حتى صديق ومع ذلك فقد كانت لدى بقية من أمل اتعلل بها ، وانا انتظر فى تلك الغرفة الحقيرة فى غرفة فندق قذرة تشيع فيها البرودة . لم

اكن اطلب حتى مجرد ان احظى بحب احد .
كان يكفينى أن يوجد مخلوق أحبه أنا من جانبى
وبالأمس حينما فقد عملى اذا بى أشعر فجاة
بأننى امرأة فاشلة .. امرأة لا تصلح لشىء .
كنت اود التفكير فى شىء ولكنى لم اكن قادرة
حتى على هذا . لم يكن هناك الا فكرة سخيفة
واحدة تضطرب فى راسى : « لن تستطيعى
النوم ! .. لن تستطيعى النوم ! » وكانت
هـذه هى اللحظة التى خطـر لى فيها شراء
اقراص « الفيرونال » المنومـة . ربمـا كانت
الشوارع تعج بالناس وبالأضواء فى تلك الليلة
مثلها فى سائر الليالى الأخرى ، ولكنى لم اكن
أرى أحـدا . كان المطر يتسـاقط ولكنى لم
اتنبه الى ذلك حتى وصلت الى ، غرفتى وانا
أرتجف وأسـنانى تصطك من البرد . حتى
ذلك الكوب المسـكين الذى كنت اذيب فيه
اقراص « الفيرونال » كان زجاجه قد تشقق
وعادت الفكرة السخيفة الى طرق راسى فى
الحاح متزايد : « ولماذا تريدين النوم خلال
ليلة واحدة فقط ؟ لماذا لا تخلدين الى النوم
كل الليالى المستقبلة مرة واحدة ؟ » . كان
هناك شىء عميق يثور فى دمى وانا احرك فى
ماء الكوب أقراص الأنبوبة كلها . ولكن لم
يكن امامى وسيلة واحدة للخلاص .
... لا ذكرى .. ولا أمل . كنت امراة قـد
انتهت قبل ان تبدا . كنت قد أطفأت نور
الغـرفة ، ومع ذلك فاننى اغمضت عينى .

وفجاة سمعت وقع حجر على زجاج النافذة
وشعرت بشىء يسـقط فى داخل الغرفة .
فأشعلت النور وقد تملكتنى الرجفة . ونظرت
فاذا به طاقة من الورود الحمراء قد الصقت
بها ورقة كتبت فيها كلمة واحدة : « غدا » .
من اين اتتنى هذه الرسـالة ؟ ومن الذى
استطاع أن يجد آلاف الكلمات التى لم يعد لها
جدوى تلك الكلمة الوحيدة التى كان بوسعها
أن ترسم لى طريق الخلاص ؟ « غدا » ...
ان الشىء الوحيـد الذى شعرت به فى تلك
اللحظة هو اننى لم اكن استطيع الموت فى تلك
الليلة دون أن اعرف سر الرسالة الغريبة .
واويت الى الفراش وقد اضأت النور وبين
ذراعى طاقة ورودى .. ورودى انا ! .. أول
طاقة من الورد اتلقاها فى حياتى ، والكلمة
الطيبة تنفذ الى أعماق روحى كمـا تنفـذ
قطرات المطر : « غدا .. غدا .. غدا ... »
(تتوقف لحظة تستعيد فيها انفاسها) وفى
صباح اليوم التـالى حينما استيقظت ...
(تبحث فى حقيبتها عن شىء)

ماوريشيو : (مكملا) حينما استقظت وجدت تحت بابك
بطاقة زرقاء قد كتب فيها : « لاتفقدى الآيمان
بحياتك . نحن فى انتظـارك » . (ايزابيل
تنظـر اليه فى حيرة وقـد أخرجت البطاقة
الزرقاء من حقيبتها . تنهض قائلة بصـوت
لا يكاد يبين)

بملجأ للاحسان ولا بقطعة خبز . ان ما نسعى لتجربته هنا هو مؤسسة عامة لخير الروح .

ايزابيل : (تتوقف) لخير الروح ؟

ماوريثيو : هناك كثيرون يشتغلون بعلاج أمراض الجسد ولكن هل فكر أحد فى أولئك الذين يموتون دون أن تشتمل حياتهم على ذكرى جميلة ؟ والذين لم يروا حلما من أحلامهم تحقق ؟ والذين لم يشعروا أبدا بقشعريرة الايمان أو رعشة الرهبة ازاء السر الغامض تسرى فى اجسادهم ؟ لست أدرى ما اذا كنت قد بدات ترين بوضوح .

ايزابيل : لا ادرى . لقد بدأ يخالج نفسى شعور بأنك تتحدث فى جد . ولكن كل هذا من الغرابة بحيث يبدو كأنه صفحة نزعت من كتاب .

ماوريثيو : هذا هو بالضبط ما أنا ساع الى افهامك اياه لماذا نودع الشعر دائما فى سجن من أوراق الكتب ؟ لماذا لا نشيعه فى الهواء الطلق ... فى المنتزهات .. فى الشوارع ؟ هل فهمت الآن ؟

ايزابيل : أما الفكرة فربما بدات أتبين ملامحها . ولكن الذى لا أفهمه هو كيف يمكن تحقيق كل ذلك ؟

ماوريثيو : ستعرفين كل شىء بعد قليل . اتذكرين ذلك الشبح الذى ظل يظهر كل يوم سبت طوال سبعة اسابيع متوالية فى « بيت ليلاس » المهجور ؟

ايزابيل : كيف لاأذكره ، وقد كان فى نفس الحى الذى كنت أسكنه ؟ ان الناس فى المشغل الذى كنت أعمل فيه لم يكن لهم حديث الا عنه خلال ثلاثة اشهر كاملة .

ماوريثيو : (وقد بدا عليه الاهتمام) وما الذى كانوا يقولونه فى مشغلك ؟

ايزابيل : كل ما يمكن أن يقال . البعض كانوا يقولون انه من قبيل الأوهام ، وآخرون كانوا يؤكدون أنهم رأوه بأعينهم . كثيرون كانوا يضحكون ولكن ضحكاتهم كان يخالطها الاضطراب والتوتر . أما فى المساء فقد كان الجميع يتذاكرون تلك القصص التى بعد بها العهد عن الأرواح المعذبة .

ماوريثيو : معذبة أولا ... ولكنهم كانوا يتحدثون عن الأرواح على كل حال . ان ذلك الحى — حى التجار الذى لم يسمع فيه أبدا الا الحديث عن الأرقام — قد ظل ثلاثة أشهر كاملة يتحدث عن الأرواح ! هذا هو ما عنيته حينما أشرت الى (رعشة الرهبة ازاء السر الغامض) .

ايزابيل : ولكن ... هذا مستحيل ! لست أظنك قادرا على أن تقول لى انك تعتقد حقا فى ظهور ذلك الشبح !

ماوريثيو : وكيف لا أعتقد فى حقيقته اذا كنت أنا نفس ذلك الشبح ؟ (ايزابيل تنهض فى دهشة وتشكك)

ايزابيل : انت ؟

ماوريثيو : (فى ضحك) أرجوك . لاتبدئى من جديد . انى أقسم لك أننى أتحدث اليك فى جد . ألا ترين أن غرس قلق أو أمل جديد فى نفوس الناس عمل لا يقل قيمة وشرفا من غرس القمح مثلا ؟

ايزابيل : بصراحة لا أرى ذلك . انى اعتقد أنه ربما كان لعبة مسلية ، ولكنى لا أرى مدى قيمتها وفائدتها .

ماوريثيو : لا ؟ .... (ينظر اليها مثبتا عينيه فيها لحظة ثم يقول خافضا صوته) .
قولى لى : أكان من المحتمل أن تجلسى الآن فى هذا المكان لولم أقم ليلة الأمس بـ (لعبتى)؟

ايزابيل : (فى تردد وقد بدا عليها الاضطراب) معذرة (تعود الى الجلوس)

ماوريثيو : لو أنك اطلعت على أرشيفنا لتولتك الدهشة اذ ترين ما يمكن أن يصل اليه المرء عن طريق قليل من الخيال . غير انه ينبغى بطبيعة الحال أن نضع فى حسابنا أيضا قدرة الآخرين على التخيل .

ايزابيل : لابد انه عمل على جانب كبير من الصعوبة . هل توفقون دائما ؟

ماوريثيو : لا تخلو نتائجنا كذلك من فشل . ولأضرب لك مثلا على ذلك : فى عصر أحد الأيام

اختفى طفل من متنزه عام بينما كانت مربيته تتبادل الحديث مع جندى . وفى اليوم التالى اختفى طفل آخر بينما كانت الآنسة المرافقة له مشتغلة بما فى يديها من عمل « التريكو » وبعد ذلك بقليل اختفى طفل ثالث ، ثم رابع وآخر ، وآخر ... أتذكرين الفزع الذى انتاب المدينة كلها نتيجة لذلك ؟

ايزابيل : أكنت أنت أيضا خاطف الأطفال ؟

ماوريثيو : بطبيعة الحال . ولكن يجدر بى أن أذكر كذلك أن أولئك الأطفال لم يعاملوا فى يوم من الأيام بمثل ماعوملوا به فى هذا البيت من حنان ورعاية .

ايزابيل : ولكن ما الذى كنت تسعى اليه من وراء ذلك؟

ماوريثيو : كان هذا ما أشار به علينا عالم تربوى . فالحقيقة أنه كان من المؤلم أن نرى أولئك الأطفال فى حالة يرثى لها من الضياع فى أيد غريبة مهملة ! أين كان آباؤهم وأمهاتهم ؟ أما الآباء فقد كانوا يقطعون وقتهم فى مجالسهم ومقاهيهم وأما الأمهات فكن فى زياراتهن وحفلاتهن الاجتماعية . وقد كان من المنطقى بعد أن تحقق ما سعينا ليه من ادخال الفزع الى نفوس أهل هؤلاء الأطفال أن يولوهم مزيدا من العناية والحرص . اليس كذلك ؟ لقد قدرنا أنه لن يحدث ذلك حتى يصطحب الآباء أبناءهم معهم الى الحدائق العامة دون أن يغفلوا عنهم لحظة !

ايزابيل : ولم يحدث ذلك ؟

ماوريشيو : كانت النتيجة على عكس ما قدرنا تماما .. اما الذعر فقد حدث ، ولكن النتيجة لم تعد ما انا ذاكر لك : الآباء ظلوا يقطعون وقتهم فى مجالسهم ومقاهيهم والأمهات فى الزيارات والحفلات أما الأطفال المساكين فقد أودعوا البيوت بعد أن أحكم اغلاق أبواب غرفهم عليهم . اترين اذن ؟ فشل ذريع ! ..

ايزابيل : خسارة ! ... لقد كانت الفكرة فى حد ذاتها جميلة !

ماوريشيو : ولكن هذه النتيجة لن تتكرر . لقد طردنا العالم التربوى واستعضنا عنه بمهرج سيرك (ايزابيل تبتسم فى اقتناع) . شكرا لك .

ايزابيل : لى انا ؟ لماذا ؟

ماوريشيو : لأنى اراك أخيرا تبتسمين . وأود أن اسجل ان ابتسامتك رائعة حقا . انك ستنتهين الى الانضمام الى زمرتنا .

ايزابيل : لا أظن . وهل أنتم كثيرون ؟

ماوريشيو : نحن نحتاج دائما الى المزيد ، ولا سيما من النساء .

ايزابيل : بالمناسبة ... خبرنى . ذلك الصياد الذى تزيا بزى اهل التيرول والذى مر هنا منذ لحظات وهو يطلق الصياح بينما كان يقود كلابا ... أى شىء هو ؟

ماوريشيو : (فى غير مبالاة) باه ! .. ليس له اهمية كبيرة . انه هاو مبتدىء .

ايزابيل : ولكن ما هو العمل الذى تخصص فيه ؟

ماوريشيو : انه يختبىء فى شعاب الجبل مطلقا عددا من الأرانب والكلاب . انه يعتبر حاميا للصيادين الفقراء .

ايزابيل : آه ... فهمت . وشحاذ دخل فى تلصص منذ لحظات من مخبأ سرى بهذه المكتبة ، ومعه عقد من اللآلىء ؟ ...

ماوريشيو : أتعنين « لص اللصوص » ؟ هذا شخص أكثر جدية وأكمل عملا . ان له يدين من خالص الذهب .

ايزابيل : وفيم يستخدم يديه ؟

ماوريشيو : انه متخصص فى الأحداث الخارجين من الاصلاحيات ممن لاتزال تتملكهم نوايا السوء (يشير بيديه اشارة تدل على السرقة أو النشل) أفهمت ؟

ايزابيل : فهمت . حينما يقوم هؤلاء الصبيان بعمل من أعمالهم (تشير بيدها اشارة تدل على السرقة مستخدما أصابعها الخمسة) فانه يتبع خطاهم و ... (تعيد الاشارة فى رفق وتلطف مستخدمة السبابة والابهام) .. أليس كذلك ؟

ماوريثيو : تماما ! (يضحك الاثنان) أترين كيف قد بدأت تندمجين ؟

ايزابيل : واضح .... واضح ... وماذا بعد ؟

ماوريثيو : وبعد ... فان المسروقات تعود الى أصحابها أما اللص الصغير فانه يتلقى بطاقة كتب فيها: « لا تعد الى مثل هذا يا صديقنا الصغير ، فانك تتسبب لنا فى حرج كبير » والنتيجة التى نصل اليها طيبة فى كثير من الأحوال .

ايزابيل : أتعـــرف أن أصدقاءك هؤلاء ممتعون حقا ؟ اظن أنهم فنانون محترفون .

ماوريثيو : أما كونهم فنانين فنعم . وأما الاحتراف فانهم لم يكونوا محترفين قط . انالممثلين المحترفين خطرون فى حركاتهم وايماءاتهم . ولو حاولنا استخدامهم لبدأوا يتنازعون على خير الأدوار

ايزابيل : (تنظر حواليها فى مرح وسرور) هو شىء لايكاد يصدق . انى أراه أمام عينى ومع ذلك فانى لا أكاد أقتنع بوجوده . (تضيف فى لهجة من يرفع الكلفة مع محدثه) ولكن قل لى الحقيقة :

الا ترى أنكم على شىء من الـ ... (تشـــير بيدها اشارة تدل على الجنون) ؟

ماوريثيو : (فى ضحك) اكملى عبارتك ... اكمليهـــا دون خوف . ان العالم الذى نعيش فيه كما هو الآن لا يحتمل من أمثالنا ممن لا يعتبرون

انفسهم اغبياء الا ان نكون على شىء من الـ .. الجنون !

ما أشـــد رغبتى فى أن اطلع على أرشيفكم . لابد أن وثائقكم تشتمل على قصص مثيرة حقا ... مثيرة ومدخلة للسرور والسعادة .

ماوريثيو : لا تعتقدى ذلك ! ان أشد القصص اثارة هى أبسطها ، مثل قصة القاضى « منديثابل ». عملنا الفنى الأكبر ! .

ايزابيل : أفى وسعى أن أعرفها ؟

ماوريثيو : وكيف لا ؟ فى ليلة من الليالى كان القاضى منديثابل مقدما على توقيع حكم بالاعدام ، ولم يكن فى هذا شىء غريب ، اذ ما كان اكثر ما وقع من قبل مثل هذه الأحكام على طول حياته ، ولهذا فانه لم يكن هناك ما يقضى أن ترتجف يده حينما يهم بتوقيع الحكم فى هذه المرة . وقد كنا جميعا نعلم أنه ما كان فى وسع أحد ان ينال منه تخفيفا للعقوبة لا بالدموع ولا بالاستعطاف . فقد كان القاضى منديثابل جامد الاحساس ازاء الألم البشرى غير أنه كان على الرغم من ذلك رقيقـا مرهف الحس ازاء الطيور . وكان القاضى يجلس هادئا أمام نافذة غرفته ليحرر حكمه بالاعدام وفى تلك اللحظة اذا ببلبل فى الحديقة يشرع فى الغناء . وبدا غناؤه كما لو كان خفقات قلب الليل فى السكون المخيم . وارتجفت

تلك اليد الجليدية لأول مرة . وحينئذ فقط ادرك القاضى ان هناك شيئا نبيلا مقدسا حتى فى ارواح أصغر المخلوقات وأقلها شأنا ، شيئا ليس من حق أى رجل أن ينتزعه من آخر . وفى تلك الليلة لم يوقع الحكم المنتظر .

آه ... لا ... لا .. لا من فضلك . ان هذا اكثر مما أستطيع تصديقه .

لست أظنك قائلا لى انك كنت أنت ذلك البلبل !

ماوريثيو : لا . لم أصل أنا بعد الى هذا الحد . ولكن لدينا مقلدا لأصوات الطيور هو معجزة من المعجزات . ونحن نعمل فى بعض ليالى الصيف على ارساله الى حديقة منديثابل لكى يعود الى الغناء هناك اعترافا بجميل الرجل أفهمت الآن كل شيء ؟

نعم . فهمت . ولكن الذى لا أجد له تفسيرا هو ما ألاحظه من أنكم تتسترون وتتخفون كما لو كنتم تقومون بعمل غير مشروع .

ماوريثيو : لأن الحقيقة لسوء الحظ هى أننا نقوم بعمل غير مشروع . فليس هناك قانون يسمح بخطف الأطفال او يبيح رشوة القضاة حتى ولو كانت الرشوة غناء بلبل . (يقترب منها فى مودة) والآن فكرى فيما سأعرض عليك : ان أمامك هنا بيتا وأصدقاء طيبين وعملا جميلا . أتريدين البقاء معنا ؟

ايزابيل : اشكر لك عرضك الكريم ، ولكن ما الذى أستطيع انا القيام به ؟ انا التى لا تحسن شيئا ... المتخلفة فى كل مضمار ! لقد طالما ضقت بهذا الوصف الذى كنت أسمعه مئات المرات فى المشغل . انى لا اصلح لشيء !

ماوريثيو : اول ما يجب عليك هو أن تعتقدى انك تصلحين . وسترين بعد ذلك انك تصلحين فعلا . ولا تظنى ان الأمر يقتضى مميزات كبرى . لقد رأيت بنفسك كيف كانت باقة من الورود كافية لانقاذ حياة . اما أنت فان لك على الأقل ابتسامة ساحرة .

ايزابيل : شكرا . انك لطيف ودود .

ماوريثيو : خذى حذرك ولنتفاهم : ان ما قلته الآن ليس عبارة قصدت به التلطف أو الاطراء . انها مجرد وصف محدد . فأنا اتحدث اليك باعتبارى مديرا وواجبى هو أن أحول تلك الابتسامة التى وصفتها بأنها ساحرة فقط الى ابتسامة نافعة .

ايزابيل : أتعتقد أن ابتسامة ما يمكن أن يكون لها قيمة؟

ماوريثيو : ومن يدرى !.. هل خطر لك مرة أن تسيرى فى الشارع الواقع وراء السجن ؟

ايزابيل : ولماذا ؟ انه ليس الا فضاء مهجورا يقبض النفس ملىء بأكوام من الحديد الصدىء والقمامة .

ماوريشيو : ولكن هناك قضبانا تطل على هذا الفضاء ، المهجور ، والى هذه القضبان يقبع رجل دائم الوحدة لا يطالع امامه الا ذلك المنظر القذر ممتدا أمام عينيه . مرى غدا فى ساعة الظهر هناك . وارفعى نظرك الى تلك القضبان وابتسمى . لا شيء اكثر من ذلك . وفى اليوم التالى عودى الى المرور فى نفس الساعة ، ثم كررى ذلك فى اليوم الذى بعده وهكذا ...

ايزابيل : لست افهم شيئا .

ماوريشيو : ان شر الم يتعرض له من أودع السجن هو الشعور بالفراغ ، فهو الذى يجعل السجين يحس بأن الوقت ليس له نهاية . فاذا رأى ذلك الرجل ان المعجزة تتكرر أمام عينيه فانه حتى الليالى ستكون بالنسبة له أقصر وهو يحدث نفسه قائلا : «غدا فى ساعة الظهيرة» (يمد اليها يده) أصبحنا الآن زملاء ؟

ايزابيل : (فى تصميم وبغير تردد) : زملاء .

ماوريشيو : شكرا . لقد كنت واثقا من ذلك (يتجه فى مرح الى جهاز القاء الأوامر . من الداخل يسمع صوت تغريد بلبل) الو ... ايلينا ؟ يمكنك الآن الحضور وهاتى معك ذلك السيد .

ايزابيل : (تصغى جامدة الحراك الى غناء البلبل) حقيقة هو شيء معجز !

ماوريشيو : اى شيء تعنين ؟

ايزابيل : رجلكم هذا مقلد الطيور .

ماوريشيو : ذلك ؟ مستحيل ! ان رجلنا يغنى خيرا من هذا الف مرة . انه فنان مبدع ! (فى لهجة استهانة) أما الذى تنصتين اليه الآن فهو بلبل حقيقى (تعود السكرتيرة ومعها السيد بالبوا) .

(ايزابيل وماوريشيو وايلينا وبالبوا)

ايلينا : حلت كل المشاكل ؟

ماوريشيو : كلها . وستبقى الآنسة معنا .

ايلينا : اخيرا ! ... خالص التهانى !

ماوريشيو : اعطيها الغرفة المطلة على الحديقة وقدميها الى الجميع ، فهى ستبدأ العمل منذ الغد .

ايلينا : تحت اوامرك . من هنا يا آنسة . (تتوجه الى الباب الأيسر . ايزابيل تشد بحرارة على يد بالبوا)

ايزابيل : تشرفت يا سيدى . لقد كان اختطافا رائعا !

ماوريشيو : (يوقفها حينما تصل الى الباب) لحظة واحدة يا زميلة . التجربة الأولى . هناك الفضاء المهجور ، وهنا قضبان السجن . ابدئى !

ايزابيل : (تبتسم فى مرح) : هكذا ؟

ماوريثيو : هكذا . شكرا جزيلا . (ايزابيل تخرج و... لا ترفع نظرها عنه وتبتسم . ماوريثيو يبقى لحظة رافعا يده محييا لها ويظل هكذا حتى بعد خروجها ويبدو أن ابتسامة الفتاة على الرغم من نظريته قد بثت فى نفسه شعورا غريبا من القلق . يحاول أن يتصفح بعض الملفات الموضوعة امامه وهو شارد الفكر ، يطلق صفيرا خفيفا من بين أسنانه غير أن عينيه تعودان الى النظر الى الباب الـذى خرجت منه ايزابيل . بالبوا يسعل حتى يلفت انتباهه الى وجوده .. فيفيق ماوريثيو فجاة من شروده ويعود اليه ببصره) .

(ماوريثيو وبالبوا)

ماوريثيو : آه ... معذرة ، فقد نسيت . السيد ..؟

بالبوا : بالبوا .. فرناندو بالبوا .

ماوريثيو : أظن أن السكرتيرة قد اطلعتك على كل شىء هل انت هادىء الآن ؟

بالبوا : أعترف بأن اللحظات التى مرت على كانت عصيبة حقا . والآن لولا الأمر الذى حملنى على المجىء الى هنا لطاب لى أن أنفجر ضاحكا غير أن حلقى مازال جافا .

ماوريثيو : اذا لم يكن ما بك أكثر من ذلك فما أسـهل العلاج (يفتح مشربا صغيرا ملحقا بالمكتب) أتريد شرابا تفضله ؟

بالبوا : لا يهم ... أى مرطب يصلح (ماوريثيو يصب له الشراب) . حينما أوصانى الدكتورآريل بالقدوم الى هذا العنوان فالحق اننى قدمت دون كبير أمل . غير أنى الآن بعد ان سمعت ما سمعت بدأت ارى أن الدكتور آريل لم يكن بعيدا عن الصواب . فانه اذا كان فى وسع أحد ان ينقذنى مما انا فيه فلن يكون الا أنت .

ماوريثيو : سنفعل كل ما نستطيع (يقدم له الكأس) . والآن حدثنى بكل شىء دون تحفظ (فى اثناء حديث بالبوا يقوم ماوريثيو بتسـجيل ملاحظات سريعة فى مفكرته) .

بالبوا : ان القصة لها تاريخ قديم ، غير انه يمكن لى أن أرويها فى دقائق معدودة . تصور عائلة كبيرة سعيدة يلاحقها سوء الحظ والنكبات حتى تعود قاصرة على جدين وحفيد . وقد حملنا الخوف من فقد هذا الحفيد الوحيـد الباقى من العائلة على أن نـدلله ونكون متسامحين دائما معه . وكانت هـذه هى غلطتنا الوحيدة . وحدث ما كان لابد أن يحـدث : صداقات مريبة ، وليال كاملة يقضيها الفتى الصغير خارج البيت ، وديون تتراكم من جراء القمار ...

وفى يوم من الأيام تختفى قطعة غالية من حلى الجدة ، فيكون تعليق العجوز : « انه مازال فى جنون الشباب .. لا تقل له شيئا»

وحينما قررت أنا أخيرا أن أعامله بحزم وصرامة كان الوقت قد فات . وفى ليلة من الليالى عاد الى البيت فى مطلع الفجر وقد زاغت عيناه وحشرج صوته . كان يعد صبيا ومع ذلك فقد كان مظهره يوحى بأنه رجل منحل مشرف على النهاية .

وفاجأته فى تلك الليلة وهو يحاول أن يكسر خزانة مكتبى ليسرق ما فيها . وكان مشهدا أود الا أعود الى تذكره ابدا ، فقد اهاننى بل ورفع يده على ، ولم اتمالك نفسى .. فعلى الرغم مما كان يحز فى نفسى من الم فاننى صفعته على وجهه والقيت به فى الطريق .

ماوريثيو : ولم يعد الى البيت بعد ذلك ؟

بالبوا : على الاطلاق . فقد كان الاعتداد بالنفس هو فضيلته الوحيدة . وحينما حاولنا البحث عنه كان قد ابحر متلصصا على مركب تجارى مسافر الى كندا . كان هذا منذ عشرين سنة .

ماوريثيو : (مواصلا تسجيل ملاحظاته) عقدة شعور بالاثم . ايمكن لى أن أسجل هنا « عشرين سنة من الندم » ؟ .

بالبوا : لا . لقد كانت تلك الليلة أسوأ ما مر على حياتى . ولكن ما حدث فيها لو تكرر وقوعه فانى لم اكن لأتردد فى فعل ما فعلت مائة مرة . ولقد اثبت الزمن انني كنت على حق .

ماوريثيو : هل بلغتك أخباره بعد ذلك ؟

بالبوا : ليتها لم تبلغنى ! فقد علمت انه انتقل من الغش فى المقامرة الى التهريب ثم الى النصب ومن التشاجر فى الحارات الى الابتزاز والتهديد المسلح .. اصبح محترفا للاجرام أما الجدة فانها بطبيعة الحال مازالت تجهل كل هذا . غير ان بيتنا كان قد حل به الخراب صحيح أنها لم توجه لى ابدا عبارة لوم ،ولكن هذا البيانو المقفل والمقعد الذى حول ظهره الى النافذة والصمت المتوتر الذى كان يرين على الدار سنوات وسنوات ، كل ذلك كان أبلغ من كل اتهام ، كما لو كنت انا المذنب المسؤل عما حدث .واخيرا وصل الى يديها خطاب من كندا .

ماوريثيو : (فى فروغ صبر) ولكن كيف فات عليك ذلك الم تستطع أن تحول بينها وبين هذا الخطاب الذى كان يمكن أن يكون فيه القضاء عليها ؟

بالبوا : على العكس . فقد كان خطاب الصلح . أرسل به حفيدى اليها يطلب منها الغفران ويملأ الصفحات الثلاث بمعسول الوعود وجميل الذكريات .

ماوريثيو : معذرة . فقد حملنى غبائى على التسرع .

بالبوا : لا ... بل انك المتسرع الآن فى عبارتك الأخيرة هذه . فقد كان ذلك الخطاب مزيفا .. وكنت انا كاتبه .

ماوريشيو : أنت ؟

بالبوا : وما الذى كان يمكننى أن أفعل غير هذا ؟ لقد كانت العجوز المسكينة تموت أمام نظرى فى صمت موتا بطيئا .. يوما بعد يوم . ولكن تلك الصفحات الثـلاث أعادت الحياة الى الدار عاد البيانو الى العزف بعد طول صمت ، وعاد المقعد الى مكانه متجها الى نافذة الحديقة .

ماوريشيو : جميل جدا . اجراء بدائى بعض الشىء ، ولكنه قوى المفعول (يسـجل فى المفكرة) « كذبة بيضاء » . وبعد ؟

بالبوا : وبعد .. لم يكن أمامى بعد ذلك الا المضى فى التمثيلية . وكانت الجـدة ترد على الرسائل وقد ملأت قلبها السعادة . وفى كل شهرين او ثلاثة يصل خطاب آخر من كندا فيكون بمثابة حطب جديد يغذى النار المشتعلة .

ماوريشيو : مفهوم « والنار لا تشبع قط »

بالبوا : وفى يوم من الأيام تخرج حفيدى من جامعة مونتريال ، وفى يوم آخر كان يقص على الجدة حديث رحلة قام بها فى عربة انزلاق على الجليد بين البحيرات وغابات الصنوبر ، وفى مناسبة أخرى كان يروى لها افتتاحه لمكتب خاص به للهندسة المعمارية ، ثم وقوعه فى غرام فتاة ساحرة ، وأخيرا وعلى الرغم من اننى اجتهدت فى اطالة مدة الخطوبة بقدر ما استطعت فانه لم يكن هناك بد من أن أزوجه

من تلك الفتاة . وكأن كل ذلك لم يكن كافيا فالنساء دائما فى حاجة الى المزيد ... والآن (يتهدج صوته فى انفعال) .

ماوريشيو : خفض عليك وتشجع ... اظن أن شـيئا حدث تترتب عليه قلب خططك كلها رأسـا على عقب . اليس كذلك ؟

بالبوا : فى الأسبوع الماضى عدت يوما الى منزلى فاذا بزوجتى تخرج للقائى وتعانقنى وهى تكاد تجن من الفرح ، وفى يدها برقية يعلن حفيدى فيها بعد عشرين سنة من الغياب انه فى طريق العودة !

ماوريشيو : معذرة ولكنى . الآن قد اصبحت عاجزا حقا عن الفهم . ما الذى كنت ترمى اليه من وراء هذه البرقية التى لا معنى لها ؟

بالبوا : أما أنا فلا شىء . كل ما هناك أن الحياة قد اقحمت نفسها فجأة فى غمار المسرحية . فقد كانت البرقية صادقة لا زيف فيها .

ماوريشيو : من حفيدك الحقيقى ؟

بالبوا : من حفيدى الحقيقى . وقد استقل بالفعل الباخرة « ساتورنيا » منذ ثمانية أيام .

ماوريشيو : يا للشيطان ! .. ان هذا الأمر قد بدأ يتحول الى قصة مثيرة حقا (يسجل فى المفكرة) « عودة الحفيد التائب » !

بالبوا : أتدرك مدى ما أثقلتنى به من هموم خلال الليالى الماضية تلك الباخرة التى قذفت بها الأقدار على فجأة ؟ ان ستـــار الدخان كان على وشك أن يرفع ، ولم يعد من المجدى اغماض العيون عن الحقيقة . وهكذا كانت قاعات الدراسة فى الجامعة ستتحول الى اقفاص السجون ، والنزه فى الغابات الى مطاردات الشرطة على اسفلت الطرق ، وذلك الفتى المرح المتألق الذى كانت الرسائل تصوره الى هذا الحطام المشؤوم القادم على ظهر (الساتورنيا) ! ...

ماوريثيو : وينهض وقـد أشرق وجهـه بفكرة تألقت فى ذهنه) لا تقل لى المزيد ! يجب علينا أن ننقذ الأكذوبة البيضاء مهما كلفنا الأمر . سننصب كمينا فى الميناء وسنهجم على الباخرة مقنعين لست أدرى ماذا سنفعل ولكنا سنخترع كل شىء ممكن . يمكن لك على أى حال ان تطمئن فان حفيدك لن يقدر له الوصول ! اليس هذا هو ما اتيت تطلبه الى ؟

بالبوا : لا ...

ماوريثيو : آه .... ليس هذا هو ما تريد ؟

بالبوا : لم تعد هناك حاجة الى اختراع اى شىء من أجل الحيلولة بين حفيدى والوصول . الم تقرا صـــحف مساء الأمس ؟ ان الباخرة ساتورنيا قد تحطمت فى عرض البحر وغرق كل ركابها .

ماوريثيو : وحفيدك ... مات اذن ؟

بالبوا : مات .

ماوريثيو : هو شىء مؤسف .ولكنه حل للمشكلة على كل حال . وهل علمت الجدة بذلك ؟

بالبوا : (ينهض قائلا فى تصميم) : ما كان لها ان تعلم شيئا . لقد اعدمت كل الصحف وقطعت المكالمات التليفونية ، ولو اقتضى الأمر فانى سأسد الأبواب والنوافذ . ولكن هذا الخبر لا ... لن يصل . اتعرف ما يعنيه انتظار عشرين سنة من أجل حياة يوم واحد ، فاذا أتى هـــذا اليوم اذا به مثل ما سبقه : خاو اسود ؟

ماوريثيو : آسف .. ولكن ما الذى استطيع انا ان افعل لقد وفقنا حتى اليوم الى اختراع حيل بارعة عالجنا بها كثيرا من العلل . أما الموت فاننا لم نجد لعلته دواء حتى اليوم .

بالبوا : ولكن .. اتراك لم تفهم ما رميت اليه حتى الآن ؟ ما الذى يهمنى الآن من امر هــــذا الحفيد المنحدر من صلبى ؟ ان الذى يتعين علينا ان ننقذه هو الحفيد الآخر .. صاحب الرسائل الجميلة والروح المرحة والايمــان الراسخ .. هذا هو الحفيد الوحيد بالنسبة لها ، وهو الذى ينبغى ان يصل .

ماوريثيو : (وقـد بدا عليه انه فهم) لحظة واحـدة ! لست اظنك تحاول ان تتخذ منى ذلك الحفيد!

بالبوا : ولم لا ؟ لقد قمت بما هو أصعب من هذا ألم تكن أنت خاطف الأطفال وشبح البيت المهجور ومزيف البلابل ؟

ماوريثيو : ولكن تقمص شخصية رجل آخر ليس فى سهولة تقمص شخصية عفريت . لأن كل رجل له وجهه وعيناه وصوته ...

بالبوا : من حسن الحظ انه لم يبعث فى رسائله بأى صورة ، ثم ان عشرين سنة كفيلة بتغيير شكل صبى تغييرا كاملا .

ماوريثيو : وغرق السفينة ؟

بالبوا : من الممكن أن تكون تلك السفينة قد فاتته . وان يصل غدا فى الطائرة .

ماوريثيو : حتى ولو كان الأمر كذلك .. ولنفرض أننى وصلت واننى الآن فى المنزل ، وها هو ذا العناق الأول قد انقضى .. وغدا .. ماذا يكون من شأنى ؟ ان فى وسعى ان أغير لحظة فى حياة رجل آخر ، ولكنى لا أستطيع أن أبقى الى مالا نهاية .

بالبوا : ولا خطر ببالى انا أن أطلب اليك مثل ذلك . انه اسبوع واحد فقط ، عدة أيام .. بل حتى ليلة واحدة ! (يتشبث به بشدة فى استعطاف) لا ... لا تنكر على هذا المعروف . وانا معك بين أمرين : اما أن نظرياتك كلها

كذب واما انك لا تستطيع ان تضن على هذه المرأة بساعة .. بساعة واحدة من السعادة قد تكون هى آخر ما بقى لها فى الحياة .

ماوريثيو : خفض عليك ! .. لست أقول لك انى موافق ولكنى لم أرفض بعد . دعنى أترو فى الأمر قليلا (يفك ازرار قميصه العليا وهو يطلق زفرة عميقة ، ويتناول رشفة من كأسه ثم يراجع ما كتبه من ملاحظات فى مفكرته . وأخيرا ينظر الى بالبوا مبتسما وقد عاد الى لهجته المرحة) وأسوا ما فى الأمر أن القضية تثيرنى وتعجبنى الى مالا مزيد عليه !

بالبوا : اذن موافق ؟

ماوريثيو : ولكن .. يا له من مأزق اقحمنا انفسنا فيه ! اما تخرجه من الجامعة فلا بأس بذلك وأما الرحلات التى قام بها فى أنحاء كندا فلا اظن تدبير أمرها عسيرا لو اننى اجتهدت قليلا فى دراسة الجغرافية . ولكن ، تلك التعقيدات التى لا مبرر لها .. لماذا كان عليك أن تجعل حفيدك مهندسا معماريا ؟ اننى لا اعرف حرفا واحدا فى العلوم الرياضية !

بالبوا : لا يزعجك هذا ، فالجدة أقل علما بالرياضة منك على كل حال .

ماوريثيو : ثم يأتى اسوا ما فى الموضوع : اى شيطان أوحى لك بأن تزوجه ؟ فان الرجل الأعزب فى مثل هذه التمثيلية — كما هو الأمر فى

الفصل الثانى

(فى منزل الجدة صالون له شرفة واسعة تطل على الحديقة . فى الجانب القريب من الجمهور على اليمين باب يؤدى الى المطبخ وعلى اليسار باب آخر يؤدى الى الغرف . فى فضاء المسرح على اليمين قاعة استقبال صغيرة يفترض انها مؤدية الى خارج المنزل . وعلى اليسار فى الجانب البعيد عن الجمهور درج عريض له «دربزين» . يلاحظ فى المنظر عامة جو يجعله أشبه مايكون بصورة منتزعة من البوم عائلى قديم ، تشم منها رائحة القدم وجاذبية البيوت العتيقة المريحة) .

(خينوفيفا — وهى أكثر من كونها خادمة صديقة للسيدة وموضع ثقتها — تقوم ساعة رفع الستار باعداد المائدة الكبيرة من أجل العشاء لشخصين . ونراها مشغولة بوضع

الأطباق والملاعق والشوك والسكاكين . فليسا الخادمة تنزل الدرج وهى تحمل لفافة من الستائر . الوقت : ليل والحديقة تلفها الظلال) .

(خينوفيفا والخادمة ، ثم الجدة)

خينوفيفا : هل نشرت الستائر الجديدة ؟

فليسا : هى هذه التى انزلتها الآن . الم تكن الستائر القديمة هى التى امرت السيدة بوضعها ؟

خينوفيفا : ولهذا سألتك . وهل وضعت الأزهار فى الغرفة .

فليسا : لقد غيرتها حتى الآن سبع مرات متوالية . فقد قيل لى فى أول مرة انها ليست ذكية الرائحة ، ثم بعد ذلك انها نفاذة الرائحة الى حد مبالغ فيه ، ثم ان السيدة كانت تريد ان أضع طاقة من الورد ، ويأتى السيد بعد ذلك فيأمرنى بأن أضع فرعا من فروع الصنوبر ثم تعود السيدة فتقول ان شذا الأزهار هو المهم ، ويجيء السيد فيقول: ان شذا الأزهار فى الليل يؤذى الصحة . اننى منذ اسبوع لا استطيع فهم مايريدون فى هذا البيت .

خينوفيفا : وما الذى وضعت فى الغرفة اخيرا ؟

فليسا : لقد وضعت شيئا من كل ما امرونى به ، ثم ليختاروا هم بعد ذلك ما يشاءون . لقد ضاق ذرعى من صعود الدرج ونزوله .. من وضع الستائر ثم نزعها بعد ذلك .. من

تعليق الصور ثم انزالها بعد لحظة . الاينوون الاتفاق فيما بينهم ولو مرة واحدة ؟

خينوفيفا : لاتضيقى يا فليسا وقدرى ان توتر الأعصاب السائد فى البيت الآن له ما يبرره . الاتتوتر اعصابك انت اذا تأخر عليك خطيبك نصف ساعة ؟ فتصورى اذن مايعنيه انتظار رجل عشرين سنة كاملة! .. هل وضعت ملاءات الكتان القديمة ؟

فليسا : لا بل وضعت ملاءات القطن . فالسيد يقول ان الملاءات الكتانية من الثقل بحيث لاتكاد تحتمل .

خينوفيفا : ولكن السيدة تصر على ملاءات الكتان . أيجشمك تغييرها كثيرا من المشقة ؟

فليسا : لست أشكو من مشقة العمل ، ولكن ما يغيظ هو اننى لست أعرف من يجب : على أن أطيع السيد أوالسيدة ..مثلما حدث فى المناقشة المشهورة التى دارت بينهما حول أمر السرير. فالسيد يصر على أن نضع السريرين الصغيرين والسيدة لاتريد بديلا بسرير واحد عريض الا يكون من الأفضل أن ننتظرهما حتى يصلا ويقررا بنفسهما ماذا يفضلان .

خينوفيفا : ليس هذا من شأننا نحن . ولتعرفى أنه اذا قالت السيدة شيئا وادلى السيد بأمر معارض فلتوافقى السيد على ما يقول ولكن افعلى ما تأمر به السيدة .

فليسا : واخيرا ما افعل اذن : أ أترك ملاءات القطن أم استبدلها بملاءات الكتان ؟ (تدخل الجدة من الباب المؤدى الى المطبخ . وهى سيدة عجوز قد دبت فيها حياة جديدة غير أنها لاتزال متمسكة بارتداء ثيابها التقليدية من القطيفة المطرزة والتواكؤ على عصا) .

الجدة : ملاءات الكتان يابنيتى .. ملاءات الكتان القديمة .. لقدطرزتها أنا بنفسى. فأنا أحس بأنها تحمل شيئا من يدى هاتين . أتفهمين ؟

فليسا : الآن فهمت . (تأخذ الملاءات المطبقة على ظهر أحد الكراسى وتصعد بها) .

الجدة : اغلقى باب القاعة باحكام وأسدلى الستار المزدوج فان صوت دقات ساعة الحائط من القوة بحيث يمكن أن يوقظها من النوم .

فليسا : أمرك ياسيدتى .

الجدة : أما النافذة فدعيها مفتوحة على مصراعيها

فليسا : واذا تسربت عبرها الحشرات من شجر الحديقة .

الجدة : لتتسرب الحديقة كلها بما فيها ! (الخادمة تختفى) حينما كان صبيا كان كل امله أن ينام فى الهواء الطلق . وكثيرا ما كان فى بعض ليالى الصيف يتسلل وهو يظن اننا لانشعر به متعلقا بفرع شجرة السرو الممتد عبر النافذة الا تذكرين أن السيد كان يريد قطع هذا الفرع منذ عدة سنوات .

خينوفيفا : وما كان بعيدا عن الصواب ، فهذا الفرع يغطى زجاج النافذة ويحجب الضوء .

الجدة : وما قيمة الضوء ؟ لقد كنت دائما واثقة من أنه سيعود ، ومن يدرى فربما سره يوما أن يتسلل مرة أخرى من النافذة عبر فرع الشجرة كما كان يفعل آنذاك .

خينوفيفا : ليس الأمر الآن سواء . فان ذلك الفرع ربما احتمل صبيا صغيرا ولكنه سيكون عاجزا عن احتمال ثقل رجل .

الجدة : ولماذا ؟ ان شجرة السرو زاد عمرها كذلك عشرين سنة .. الأطباق يجب أن توضع هكذا فاننا اذا جعلنا مجلس كل منهما ازاء الآخر كانت المسافة بينهما بعيدة .

خينوفيفا : ولكن العادة جرت بأن يجلسا متقابلين على طرفى المائدة .

الجدة : هى عاداتنا نحن . أما هما فانهما لم يتزوجا الا منذ ثلاث سنوات . أى أنهما مازالا فى « شهر العسل » . ولست أظن عاطفتهما قد أصابها شيء من الفتور بعد . أليس كذلك ؟ لقد تركت فطيرة الجوز على نار هادئة .. اننى مازلت أتخيله أيام كان صبيا ، ولكأنى أسمع صوته وهو يصيح بعد عودته من المدرسة : « جدتى !..لدينا اليوم فطيرة جوز بعسل النحل ؟ » لماذا تهزين رأسك هكذا ؟ .

خينوفيفا : فطيرة الجوز .. شجرة السرو . أنت دائما ترددين هذا كما لو كان صبيا بعد ! أتعتقدين ان رجلا يبنى الآن بيوتا من ثلاثين طابقا سيظل ذاكرا حتى الآن مثل هذه الأشياء الصغيرة ؟

الجدة : ألست اذكرها انا ؟ لقد مرت عليه نفس السنوات التى مرت على انا .

خينوفيفا : نفس السنوات .. لا : فأنت هنا ثابتة لا تتحركين ، أما هو فقد كان يضطرب فى هذا العالم العريض !

الجدة : وما الذى يعنيه ذلك ؟ .. انه سيعود وقد لحقت صوته الخشونة وعينيه الاجهاد ؟ فهل معنى ذلك انه لم يعد حفيدى وقطعة منى ؟ ومهما كان قد طال أو عرض فلن يكون بحيث لا تحتويه ذراعاى .

خينوفيفا : لتعلمى يا سيدتى أن الرجل ليس مجرد طفل كبير ، بل هو شىء آخر . وهذا شىء علمتنى اياه التجارب ، فان لى ثلاثة ابناء تائهين فى ارض الله الواسعة .

الجدة : (تصيخ السمع فجأة) هس ! .. اسكتى ألا تسمعين صوت سيارة ؟ (تبقيان لحظة بلا حراك متسمعتين) .

خينوفيفا : هو حفيف الريح فى الحديقة . (الجدة تجلس وهى تتنفس تنفسا عميقا وقد وضعت يدها

على صدرها) كونى على حذر ياسيدتى من توتر أعصابك هذا .

الجدة : ينبغى أن اكون قوية لتحمل مثل هذه الفرحة ولو كان الأمر متعلقا بشىء سىء لتلقيته بغير مبالاة ، اذ كنت متعودة على امثاله . اعطينى قليلا من الماء من فضلك .

خينوفيفا : اتنوين تناول قرص آخر ؟

الجدة : لا ، يكفينى ما تناولت من ادوية . ان دوائى الحقيقى الوحيد هو هذا الذى أوشك أن يصل . أتظنين اذ لم أخرج الى الميناء لاستقباله ان ذلك كان خوفا من التعب والاجهاد ؟ لا .. بل كان لأتجنب أن يشاركنى فيه أحد من بين الكثيرين الذين كانوا ينتظرون هناك . لقد خرج من هذا البيت ، وفى هذا البيت سأنتظره حتى يعود . كم الساعة الآن ؟

خينوفيفا : الوقت مازال مبكرا . ان الدقائق الأخيرة دائما طويلة لا يكاد المرء يرى لها نهاية أليس كذلك ؟ .

الجدة : ولكنها حافلة ، كما لو كانت مليئة به هو وما اكثر ما أحسست بهذا الشعور أيضا حينما كنت أتلقى رسائله . فقد كنت أدور وأدور حول مظاريفها قبل أن افتحها ، بل كثيرا ما كنت أغمض عينى محاولة ان اتنبأ بما فيها قبل قراءتها . وربما بدا لك هذا صبيانيا

ولكنى كنت اشعر بانه يطيل متعتى بتلك الرسائل (تصيخ السمع مرة ثانية) الا تسمعين ؟

خينوفيفا : هى الريح مرة اخرى . ولكنهم لن يتأخروا فى القدوم على كل حال .

الجدة : لا يهم ، فانتظارى الآن أشبه مايكون بترددى قبل فتح الرسائل . ترى كيف هى ؟ماشكلها؟ وما طباعها ؟

خينوفيفا : من هى ؟

الجدة : ومن ستكون ؟ ايزابيل زوجته .

خينوفيفا : الم يحدثك عنها فى رسائله ؟

الجدة : وما يعنى ذلك ؟ ان العاشقين يرون كل شىء كما يريدون . ليس معنى هذا أن فى نفسى شيئا منها ، ولكن ... تلك النساء القادمات من بعيد ...

خينوفيفا : غيورة ؟

الجدة : ربما ... بعض الشىء . ولكن أليس هذا طبيعيا ؟ الواحدة منا تربيهم وتسهر عليهم وتراهم يكبرون يوما بعد يوم ... من الحصبة حتى علم الجبر ، وفجأة تأتى امرأة مجهولة ، لا لشىء الا لأن القدر قذف بها فى طريقه ، فتتقدم نظيفة اليدين لكى تلتقطه منك فى سهولة ويسر ، وتحمله كاملا غير منقوص . ليتها تكون على الأقل جديرة به ! (تنهض فجأة) والآن ؟ أتسمعين الآن ؟.. (يسمع فعلا صوت محرك سيارة تقترب) .

خينوفيفا : الآن هم القادمون !

الجدة : اخرجى يا فليسا لتفتحى لهم .. بسرعة ! (توقف خينوفيفا) اما انت فابقى هنا معى انى اعرف اننى ساكون من القوة بحيث أستطيع احتمال الموقف . ولكن لا بأس بالاحتياط (يسمع صوت جرس الباب الخارجى . تخرج الخادمة بسرعة ، يسمع صوت ماوريثيو وهو يصيح من الخارج فى مرح) .

صوت : جدتى ! افتحوا الباب والا قفزت من النافذة ! جدتى .. (يتكرر صوت الجرس فى الحاح يدل على فروغ الصبر) .

الجدة : الا تسمعين ؟ مازال على جنونه منذ صغره (يقتحم ماوريثيو الغرفة ثم يتوقف على الباب لحظة . ثم يليه بالبوا وايزابيل وقد حملا معهما حقائب يد صغيرة ، ثم تدخل الخادمة أخيرا ومعها بعض الحقائق ، فتتركها على الأرض وتعود لتأتى ببقية المتاع) .

الجدة وخينوفيفا وماوريثيو وبالبوا وايزابيل

الجدة : ماوريثيو !

ماوريثيو : جدتى !

الجدة : اخيرا !.. (يتعانقان فى حرارة ، الجدة تقبله وتنظر اليه وهى بين الضحك والبكاء ، ثم تعود

الى معانقته . ماوريثيو يتجه بالموقف الملتهب الى عبارات المرح) .

ماوريثيو : من الذى قال ان هذه العجوز قد لحقها الضعف ؟ انا ارى ان هذه الأيدى النحيفة مازال فيها كثير من القوة (يقبل يديها) .

الجدة : دعنى انظر اليك . ان عينى لم تعودا تعيناني على النظر ولكنهما تذكران ... تذكران الكثير (تتأمله فى نظرات فاحصة) لشد ماتغيرت يا ولد !

ماوريثيو : انها عشرون سنة ياجدتى .. حياة كاملة !

الجدة : وما قيمة هذه السنوات الماضية الآن ؟ انه يبدو لى فى هذه اللحظة كما لو كنت أعود الى فتح كتاب على نفس الصفحة التى كنت قد أغلقته عليها . دعنى اتأملك .. أرى ان شعرك قد انحسر قليلا على جانبى رأسك ..

ماوريثيو : نعم ، فقد ضاعت منى شعرات كثيرة هناك بعيدا ..

الجدة : أما الصوت فانى أراه قد اكتمل ونضج وازداد عمقا . ولكن اكثر ماتغير فيك هما العينان . فقد أتيت بعينين مختلفتين كل الاختلاف .. ولكن المرح المرتسم فيهما هو نفس المرح والآن .. لنر كيف تضحك ؟

ماوريثيو : (ضاحكا) بالعينين ؟

الجدة : نعم .. هكذا ! هذه هى الشرارة الذهبية التى

كنت انتظرها ، هى هى لم تتغير ، واليها كان يرجع الفضل فى اننى كنت اغفر لك كل ذنب .. وقد كنت تعرف ذلك ايها الخبيث الماكر ! !

ماوريثيو : (مستعيدا هدوءه) من حسن الحظ ان شيئا بقى منى بعد كل تلك السنين .

الجدة : (تعود الى معانقته فى تأثر) : ماوريثيو .. حبيبى ! .. ابنى !..

ماوريثيو : بلا دموع ارجوك ! الا يكفيك مابكيت فى السنوات الماضية ؟

الجدة : لا تخف ، فان هذه الدموع مختلفة عن تلك . وهى الدموع الأخيرة . تعال هنا حتى أراك بشكل افضل .. هنا ، فى النور .. (بالبوا الذى ظل جامد الحركة واقفا بجوار ايزابيل يتقدم)

بالبوا : لحظة يا ايوخينيا. ان ماوريثيو لم يأت وحده بل انه قدم علينا برفقة طيبة .

الجدة : آه .. متأسفة !

ماوريثيو : ها هى ذى عدوتك الجميلة .

الجدة : عدوتى ؟.. لماذا ؟

ماوريثيو : أتعتقدين انى لم الاحظ ذلك من خلال رسائلك ؟ « من هى تلك الدخيلة التى قدمت لتسرق منى ماهو ملكى ؟ » (يأخذ بيد ايزابيل مقدما اياها) اليك اذن هذه الدخيلة. ايزابيل

الشقراء ، مطيرة لباب الرجال . ألا يلاحظ ذلك على وجهها ؟

الجدة : ارجوك .. لاتبالى كثيرا بما تقول .. انها طريقته فى الكلام .

ايزابيل : لا تهتمى .. فانا أعرفه حق المعرفة (تتقدم فى حياء وتقبل يديها) .. سيدتى ..

الجدة : هكذا لا ، بل الى ذراعى (تعانقها وتقبلها فى جبينها) لا اظنك تمانعين فى أن أرفع الكلفة معك منذ هذه اللحظة . أليس كذلك ؟ فان تفاهمنا سيكون اسهل على هذه الصورة .

ايزابيل : بل اشكرك على ذلك (الجدة تدقق النظر فيها)

ماوريثيو : ما الذى تبحثين عنه فيها ؟ هل هناك شىء قد اخفته وراء عينيها ؟

الجدة : لا ، بل هما صافيتان .. هادئتان .

ماوريثيو : وهما عينان لا تعرفان الكذب ، فاذا نظرتا اليك مرة فكأنهما تقولان لك كل ماتريد ان تقول . (يتقدم باسما نحو خينوفيفا وهو يمد اليها يده) أظن ان هذه هى خينوفيفا المشهورة .

بالبوا : نعم ، انها هى .

خينوفيفا : أكان السيد يعرف اسمى ؟

ماوريثيو : لقد كانت الجدة تكتب لى دائما متحدثة عن خير مافى هذا البيت ، وما كان حديثها ليخلو من الاشارة اليك بطبيعة الحال . ان لك ابنين قد هاجرا الى المكسيك ، وآخر يعمل على باخرة تشق المحيط الهادى . اليس كذلك ، كيف حالهم ؟

خينوفيفا : بخير .. شكرا جزيلا ياسيدى (تعود الخادمة حاملة بقية الحقائب)

فليسا : السائق يسأل عما اذا كان ينبغى عليه انيعود الى الجمارك ليأتى بصناديق المتاع .

ايزابيل : غدا .. فان ما احضرناه من متاع معنا يكفينا لهذه الليلة وزيادة .

ماوريثيو : اصعدى بهذه الحقائب الآن من فضلك (يعاون الخادمة فى نقلها) وفيما بيننا لا تسميه «السائق» ، بلناديه باسمه «مانولو» كما تفعلين حينما تخرجان معا كل يوم أحد (يغمزها بعينه . الخادمة تضحك وقد تصاعدت دماء الحياء الى وجهها)

فليسا : شكرا . (تصعد بالحقائب هى وخينوفيفا) لطيف خفيف الروح . اليس كذلك ؟

خينوفيفا : وهو سيد بمعنى الكلمة . (ماوريثيو يتأمل المنزل فى تأثر عميق)

(ماوريشيو وايزابيل والجدة وبالبوا))

ماوريشيو : البيت مرة أخرى .. فى النهاية ! وكل شىء كما كان حينما تركته : مائدة الطعام الكبيرة المصنوعة من خشب الأرز ، والمراوح المستخدمة فى حفلات الرقص ، والكنبة الطويلة التى طالما استمعت ازاءها للنصائح الطيبة .

الجدة : كل شىء قديم .. يعود الى عصر مضى به الزمن ولكن البيوت مثلها فى ذلك كمثل النبيذ كلما طال بها العهد تعتقت وطابت . (الى ايزابيل) ايعجبك البيت ؟

ايزابيل : كثيرا جدا . اننى اشعر كلما تأملته بشىء يعترض حلقى من فرط التأثر . لقد كنت دائما احلم ببيت مثل هذا .

الجدة : اتريدين التعرف على كل انحائه ؟ تعالى وسأرافقك انا .

ماوريشيو : لاضرورة لذلك الآن . اننى طالما حدثت ايزابيل عنه الى درجة انها يمكن أن تتجول خلاله مغمضة العينين .

الجدة : غير معقول .

ايزابيل : تقريبا (تتقدم الى وسط المسرح وقد أغمضت عينيها) هنا المطبخ والفرن الذى يشعل بالحطب وفى ارضه الغطاء السرى الذى اذا فتح انكشف عن الدرج المؤدى الى القبو . وهناك مكتب الجد المصنوع من خشب الجوز والمكتبة

التى ترتفع رفوفها الى السقف . وفى الرفوف السفلى ركن مغطى بالزجاج هو الذى اودعت فيه كتب الجدة . ثم القاعة الكبيرة التى تشتمل على صور العائلة وساعة الحائط السويسرية التى تشبه دقاتها دقات ناقوس كاتدرائية صغيرة . (فى هذه اللحظة تسمع دقات الساعة من الطابق العلوى ، فترفع ايزابيل عينيها فى انفعال) هذه هى الدقات ، لقد كان بوسعى ان أميزها بين دقات آلاف الساعات الأخرى .

الجدة : واصلى يا ايزابيل .. واصلى !..

ايزابيل : وفى مواجهة الساعة باب مغطى بستارة مزدوجة من القطيفة الحمراء ، وبعده الغرفة التى كان ماوريشيو يستذكر فيها دروسه أيام كان طالبا ، وهى الغرفة المطلة على الحديقة والتى يطل من نافذتها فرع شجرة السرو .

الجدة : وتعرفين هذا ايضا ؟

ايزابيل : ان ماوريشيو كثيرا ماكان يقول لى : « لو اننى عدت يوما الى المنزل فانى ارغب فى العودة الى تسلق هذا الفرع » .

الجدة : (فى فرح شديد) : أترى يافرناندو ؟ ترى انى كنت على حق حينما قلت لك ان هذا الفرع يجب الا يقطع ؟ تعالى هنا يابنيتى .. بارك الله لى فيك !

ايزابيل : جدتى !.. (ترتمى فى ذراعيها ، وتندمج فى دورها الى حد انها تطلق زفرة مختنقة تدل على انفعال صادق)

الجـدة : ولـكن ما الذى اصـابك يا طفلتى ؟ أتنوين البكاء انت الآن ؟

ماوريثيو : يجب لا تحفلى بها كثيرا ، فهى عاطفية .. الم تسمعيها تقول لك انها كانت دائما تحلم ببيت مثل هذا ؟

الجـدة : وسيكون لها مثل هذا البيت .. على وجـه التأكيد . لأمر ما أصبح لها زوج هو مهندس معمارى .

ماوريثيو : ان البيوت القديمة لا نصنعها نحن المهندسين المعماريين ، وانما يصنعها الزمن .

الجـدة : ضع انت الجدران من خارج واكتف بذلك . أما ما فى الداخل فهى كفيلة به ، أتعـدنى بذلك ؟

ماوريثيو : أعـدك .

الجـدة : هكذا فقط ؟ لقد جرت العادة هنا فى وطنك على انه اذا وعد زوج بشىء فانه ينبغى أن يوقع على وعده بطريقة أخرى .

بالبـوا : ربما كانت ايزابيل تجهل هذه العادات .

ايزابيل : بل انى أعرفها يا جدى (تقبل ماوريثيو فى حـده) شكرا لك ياعزيزى (الى الجـدة) هكذا ؟

الجـدة : (فى خيبة امل) هذا شأنكما . اذا لم تكن الذاكرة قـد خانتنى فان زواجكما لم يمض عليه الا نحو ثلاث سنوات .

ماوريثيو : نعم ، على وجه التقريب .

الجـدة : بالتقريب .. لا ، ستكمل على زواجكما ثلاث سـنوات بالضبط فى السادس من اكتوبر القادم ..

ايزابيل : بالضبط ، فى السادس من اكتوبر .

الجـدة : والزوجات هناك يقبلن أزواجهن هكذا بعد ثلاث سنوات من الزواج ؟ يظهر أن هذا هو حكم الجو فى تلك البلاد .

ماوريثيو : أولاحظتم انتم ذلك ؟ انها دائما خجولة هكذا. ما الذى ستظنه بنا الجدة ؟ واى فكرة سيئة ستكونها عن كندا وأهلها ؟ علينا أن نبدى لها شيئا من الوطنية !

ايزابيل : يا لك من غبى (تعود الى تقبيله فى حرارة .. مبالغ فيها قليلا من جانب ايزابيل . الجـدة تبتسـم فى سـعادة . والخادمتان اللتان تظهران فى هـذه اللحظة فى أعلى الدرج تبتسمان كذلك . بالبوا وقد تزايد قلقه يسعل قاطعا عليها القبلة) .

(المذكورون وخينوفيفا وفليسا)

بالبـوا : والآن وقد وقعتما على الاتفـاق الا ترون أن الوقت قد حان للتفكير فى شىء له جدواه ؟

ربما كنتما متعبين او جائعين . خينوفيفا !
(تنزل الخادمتان من الدرج) .

ماوريثيو : اما الطعام فلا .، اننا لم نفعل طوال الرحلة فى السفينة الا تناول الطعام فى كل ساعة من ساعات الليل والنهار .

ايزابيل : اكثر ما انا فى حاجة اليه الآن هو تغيير ملابسى .

الجدة : الا تريدان حقا تناول شىء ؟ لقد أجهدت خينوفيفا نفسها وتأنقت كثيرا فى اعداد العشاء .

خينوفيفا : على كل حال ربما كان من الخير ما عزما عليه ، فاننى فى زحمة المشاغل فى هذه الليلة قد نسيت المطبخ. ولعل الحساء البارد قد عاد ساخنا والساخن من الحلو قد برد .

الجدة : ولكن هناك شيئا على الأقل لا يمكنك ان ترفضه . أتذكر حينما كنت تعود من المدرسة وأنت تصيح مطالبا به ؟

ماوريثيو : (فى تلهف مبالغ فيه) : لا !.. فطيرة الجوز بعسل النحل ؟

الجدة : (تنظر الى خينوفيفا فى زهو واغتباط) ألا تسمعين ؟ «أشياء صغيرة» !.. كما كنت تقولين ! أسرعى باخراجها من الفرن وقبل أن تبرد ضعى عليها طبقة خفيفة من العسل النقى .

خينوفيفا : حالا .

فليسا : أتريد السيدة شيئا آخر ؟

الجدة : لا يافليسا ، طاب مساؤك .

فليسا : مساء الخير عليكم جميعا (وتحنى راسها بصفة خاصة لماوريثيو) مساء الخير ياسيدى. (تخرج هى وخينوفيفا) .

(الجدة وايزابيل وماوريثيو وبالبوا)

الجدة : تعالى يا ايزابيل معى ، سأريك غرفتك ، وستقولين لى ما اذا كنت على حق .

ايزابيل : فيم يا جدتى ؟

الجدة : فى جدال كان بينى وبين العجوز . تصورى أنه كان يصر على وضع سريرين صغيرين فى الغرفة محتجا بأن هذا هو الذى يتلاءم مع تطور الحياة وتغير الزمن وبغير ذلك من الهراء. ولكنك توافقيننى على أن تقاليدنا القديمة أوافق وأصلح . أليس كذلك يابنيتى « هذه هى شريعة الله فى بيوت الزوجية .

ايزابيل : (فى فزع) .. تقاليدنا القديمة ؟

بالبوا : (هامسا فى أذنها بسرعة) اطمئنى ، فهناك غرفة أخرى ملحقة بغرفة النوم .

الجدة : لم تجيبينى على ما سألت يا ايزابيل .

ايزابيل : نعم يا جدتى .. على شريعة الله .. هيا بنا .

بالبوا : رفقـا بنفسك يا ايوخينيا . واحترسى من صعود السلالم .

الجدة : (صاعدة الدرج هى وايزابيل) : دعنى الآن من مواعظك ونصائحك . ان قلبا عرف كيف يحتمل كل ما احتمله هذا لجدير بالا يؤثر فيه اى شىء .

ايزابيل : استندى الى ذراعى .

الجدة : اما هذا فنعم . مادام الى جوارى مثل هـذه الذراع الفتيـة فلست اخشى كـل مايمتـد امامى من سلالم ولا من سنين . بل سأصعد دون توكؤ على العصا .. هكذا (تعطى عصاها لايزابيل) .. بفضل القوة الباقية فى رجلى والقوة الجديدة التى يمدنى بها حفيداى .. هكذا ! (تصعد وقد دبت فيها حيوية طارئة مستندة الى ذراع ايزابيل . ماوريثيو وبالبوا بعد ان بقيا وحدهما يتنفسان الصعداء كما لو كان قد انزاح عنهما عبء ثقيل) .

ماوريثيو : كيف الحال ؟

بالبوا : مدهش ! اى حيوية واى مرح واى حرارة ! انها تحفة فنية اخرى من مآثرك المذهـلة ! (يشد على يديه) شكرا من كل قلبى . انى عاجز عن التعبير لك عن الامتنان لما تقوم به من اجل هذه الاسرة .

ماوريثيو : اما من ناحيتى فانى سعيد باجتيازنا هـذا الاختبار . فانا فى الحقيقة لست اعدو كونى

فنانا . وليس هناك مايثير حماس فنان مثل التغلب على صعوبة كبرى تعترض طريقه . ان الشىء الوحيد الذى يؤسفنى هو ان كل شىء ابتداء من هذه اللحظة سيـكون بالغ اليسر والسهولة .

بالبوا : اتعتقد ان اصعب ما فى الامر قد انقضى ؟

ماوريثيو : بالتأكيد . ان اخطر ما فيه كان هـو اللقاء الاول . فلو ان حرارة الانفعال فترت فى هذا العناق الاول وتركتها تنظر الى فى هـدوء لضاع منا كل شىء . ومن اجل هذا تعمدت ان اضغطها بين ذراعى حتى جعلت الدموع تطفر من عينيها . فان عينين قـد حجبت ابصارهما الدموع وعشرون سنة من غياب الحفيد المنتظر كانا خير معين لنا على النجاح .

بالبوا : اما انت فاننى لا استغرب منك ما قمت به ، فان لديك ثروة من الخبرة والتجارب ، فضلا عن هدوء الاعصاب الذى يتميز به فنـان مقتدر . ولكن الذى يدهشنى هو الدور الذى ادته الفتاة فى مهارة رائعة على الرغم من انها مبتدئة .

ماوريثيو : (فى اعتراف متساهل) : لا بأس بالفتـاة . ان لديها مواهب عظيمة .

بالبوا : كان مشهدها وهى تستعيد ذكريات البيت رائعا مؤثرا حقا : حديثها عن دقات الساعة التى تشبه دقات اجراس كاتدرائية صغيرة .

ماوريثيو : سأفسر لك ذلك . أما والدها فقد كانا انجليزيين فعلا . ولكن جدها .. أحد أجدادها كان اسبانيا .

بالبوا : (مسرعا الى قبول هذا التفسير وتأييده) طبعا ، هذا هو ما يفسر اجادتها للاسبانية ، فهى لغة الطفولة .. لغة الكلام مع الجد .. لغة الخرافات ..

الجدة : اى طفولة واى خرافات ؟ وما هذا الهراء ؟ ان اللغة الحقيقية الوحيدة لامراة تحب زوجها هى لغة الزوج .. لا أكثر ولا أقل . هذا هو أكثر ما أعجبنى فيها .

ماوريثيو : هذا هو الصواب فعلا . والشىء الثانى ماهو ؟

الجدة : هو شىء لعلك أنت نفسك لم تفطن اليه ، وهو مالا يتوفر الا فى نساء قليلات جدا : أن نظرتها أجمل من عينيها . هل لاحظت أنت ذلك ؟

ماوريثيو : (وقد فوجىء بتلك الملاحظة التى لم تكن تخطر له على بال طالما كنت أحدث نفسى بشىء مثل هذا ، ولكنى لم أكن أعرف على وجه التحديد ما هو .

الجدة : فقد عرفت الآن ماهو . وعليك أن تتعلم كيف تهتم بمعرفة ما يتعلق بك . (متوجهة الى الجد) هل تحدثت معه ؟

بالبوا : عن ماذا ؟

الجدة : هذا هوما تصورته : انك لن تتاح لك الشجاعة

الكافية للتحدث معه عن ذلك . ولكنه أمر ضرورى.. ومن الخير تناوله الآن ونحن وحدنا

ماوريثيو : ماذا .. هل فى الأمر أسرار ؟

الجدة : الشىء الوحيد الذى لم أجرؤ ابدا على تذكيرك به فى رسائلى . أعنى ماحدث فى تلك الليلة الأخيرة .. حينما ذهبت من البيت.. أتذكر ؟ ان الجد لم يكن يعرف ماهو فاعل ، فقد كان غير متمالك لأعصابه .

بالبوا : أرجوكم .. دعونا من تلك الذكريات الحزينة.

الجدة : لقد عرفت لحسن الحظ كيف تشق طريقك لكن ..صبى صغير يضطرب وحيدا فى ارجاء هذا العالم ؟!... ترى لو أن الحياة جرفتك فى طريق أخرى غير التى سلكت .. (تنظر الى الجد نظرة لوم وتأنيب) على من كانت تقع التبعة ؟ هذا هو مالم يجرؤ الجد على الاعتراف بذنبه فيه بصوت عال . ولكنى كنت أعرف دائما أنه كان منذ ذهابك لايكف لحظة واحدة عن دعائه لك حتى تسامحه وتغفر له خطيئته .

ماوريثيو : بل على العكس .. لقد فعل الجد ما كان عليه أن يفعل . واذا كان لى أن أشعر بالامتنان والاحترام لشىء فانه لتلك اليد التى حولتنى فى ليلة واحدة الى رجل (يشد على يد الجد بقوة) شكرا .. شكرا لك ياجدى . (يتعانقان بحرارة . الجدة تتنفس فى ارتياح) .

(بالبوا والجد والجدة وماوريثيو وخينوفيفا وايزابيل)

خينوفيفا : (تدخل وهى تحمل صينية) ربما كنت قد بالغت فى تقدير الفطائر ، ولكن رائحتها طيبة جدا .

ماوريثيو : (مخاطبا ايزابيل التى تظهر فى هذه اللحظة فى اعلى السلالم وهى ترتدى ثوبا جديدا) اسرعى يا ايزابيل فقد وصلت فطائر الجوز بعسل النحل .

الجدة : أول هذه الفطائر لك .

ايزابيل : (وهى تنزل الدرج جريا) ما أكثر ماحدثنى ماوريثيو عن تلك الفطائر وما أشد شوقى لتذوقها ! (تتذوق الفطيرة التى تقدمها لها الجدة) .

بالبوا : لذيذة حقا .

ماوريثيو : (فى تلذذ مصطنع مبالغ فيه) هـ . . م . . م ان كلمة « لذيذة » أعجز من أن تعبر عن حقيقة طعمها . لم يخترع بعد فى اللغة لفظ ملائم ، ولكن من أجل ذلك لابد أن تقوم باعداد تلك الفطائر هاتان اليدان نفسهما . الم اقل لك يا ايزابيل ؟

ايزابيل : لقد كنت على صواب . انها شىء لم أذق مثله فى حياتى !

الجدة : أليس لديكم هناك فى بلادكم مثل هذا ؟

ايزابيل : هناك لدينا من كل شىء : مناحل ضخمة لاستخراج العسل وغابات هائلة فيها من كل الثمرات وملايين من البيوت تسكن فيها جدات طيبات . ولكن كل هذا مجتمعا . . وملكا خالصا لنا . . لم أعرف ذلك الا هنا .

الجدة : بلا مبالغة . . يا متملقة ! (ايزابيل تتناول فطيرة أخرى وتشرع فى التهامها) .

ماوريثيو : على مهل . . فانها ستعترض حلقك .

الجدة : لابأس ، دعها فان قليلا من النبيذ سيعينها على ابتلاع الفطائر .

بالبوا : لدينا نبيذ وردى من « ريوخا » وآخر معتق من « بورجونى » .

ماوريثيو : لقد تعبنا من هذين . اليس هناك لديكم من ذلك النبيذ البيتى الذى كان يصنع هنا من عصير الزبيب وقشر البرتقال ؟

خينوفيفا : النبيذ الحلو ؟

الجدة : (منفعلة فى فرح) هو نبيذى انا ياخينوفيفا نبيذى انا ! . .

(خينوفيفا تبحث فى الدولاب ، ثم تأتى بزجاجة من ذلك النبيذ وتصب منها) انه ليس نبيذا بمعنى الكلمة ، بل هو أشبه بشراب مسكر مما يفضل النساء ، ولكنه يدير الرأس كأن فيه شيطانا صغيرا . سترى . . سترى ! . .

بالبــوا : اتشربين انت ايضا ؟

الجــدة : هــذه الليلة فقط ، وليحدث ما يحــدث . ولا تغضب منى اذ لن يجــديك الغضــب . (متجهة بالحــديث الى ايزابيل) ايعجبــك صنع الفطائر والحلوى المنزلية ؟

ايزابيل : .. الفطائر والحلوى ؟ .. انى ..

بالبــوا : انه اكثر مايحظى باهتمامهــا . بل كان ذلك هو اول ما قالته لى ونحن فى الميناء .

الجــدة : اذن فان لدينا عملا كثــيرا سنشتــرك فيه . (ترفع كأسها . يقف الجميع رافعين كئوسهم .. فى نخب اسعد ليلة فى حياتى! فى نخب بلادك يا ايزابيل !

ماوريثيو : لنشرب كلنــا يا خينوفيفا . فان كل مــن يستظل بسقف الجــدة يجب أن يعتبــر من الأسرة .

خينوفيفا : شكرا يا سيدى . بالصحة والسعادة . ما رأيكم فى هذا النبيذ ؟

الجميع : ما رأيكم فى هذا النبيذ .

ايزابيل : أشعر بأنه يدير الرأس قليلا . ان فيه بالفعل شيطانا صغيرا حقا . عليك أن تعطينى كيفية صنعه . أم ان ذلك يعتبر سرا عائليا ؟

الجــدة : لم يعد هناك فى هــذا البيت أسرار تحجب عنك .

بالبــوا : (متوجهــا الى خينوفيفا) اذهبى الآن لكى تنالى نصيبا من الراحة . وشكرا .

خينوفيفا : فى اى ساعة تودون ان اعد الافطار ؟

ماوريثيو : ليست لنــا ساعة محــددة . فنحن احيانا نظل نائمين كأننا جذوع شجر حتى يطلع الضحى . واحيانا اخرى نخرج للاستحمام فى النهر مع مشرق الشمس .

خينوفيفا : حتى الغد ، ومرحبا بكم مرة اخرى .

الجميع : حتى الغد يا خينوفيفا ، مســاء الخير . (تخرج خينوفيفا) .

(الجدة وبالبوا وماريثيو وايزابيل)

الجــدة : أظن أن ما ذكرته عن الاستحمام فى النهر قبل مطلع الشمس كان دعابة ، اذ ان الماء فى تلك الساعة ينبغى أن يكون من البرودة بحيث يبدو كأنه سكاكين قاطعة .

ماوريثيو : وما الذى تعرفونه أنتم هنا عن البرد الحقيقى؟ (محاولا أن يسجع ايزابيل على الاشتراك فى الحديث) لتحدثك ايزابيل عن لذة الاستحمام فى ماء الشلالات التى يكلل أمواجها زبــد من الثلج .

ايزابيل : نعم ... هذه الأمواج البيضاء التى ترى خلالها أسماك « السلمون » وهى تتواثب متصدية للتيــار ! ..

الجــدة : نعم اذكر ذلك ، فقد كتبت لى مــرة عنه فى رحلة لك عبر نهر سان لورانس ألم يكن هناك حيث حفرت اسمى على جذع شجرة بلوط ؟

ثلث من الحجارة وثلثان من الواح الزجاج . ما اكثر ماجشمنى من جهد تتبع المشاكل المترتبة على بناء مثل هذه الكنائس .

ماوريثيو : (فى قلق) : وهل درست الهندسة المعمارية ايضا ؟

الجدة : انى لم اكن افهم حرفا واحدا من اصطلاحات العمارة . ولكنى قمت بدراستها والقراءة عنها حتى يكون فى ذلك نوع من المشاركة لك من بعيد ، حينما كنت تعد نفسك للامتحانات اتصدق اننى مازلت اذكر بعض القواعد الأساسية فى هندسة المعمار ؟«القبة الدائرية المعلقة بين اربعة مثلثات مقوسة الأضلاع يجب ان يكون قطرها مساويا للخط الواصل بين الراسين المتقابلين لمربع المسطح الذى يقوم عليه البناء» ... ماذا أصابك ؟ لماذا تنظر الى وعلى وجهك هذا التعبير ؟ اليست هذه هى القاعدة ؟

ماوريثيو : (متجها الى الجد) هى هكذا حقا ؟

بالبوا : (يضحك فى عصبية) يا لك من محب للدعابة والمزاح ! اتسألنى انا ؟ .. كأسا آخر يا ماوريثيو ؟

ماوريثيو : نعم ... كأسا كبيرة من فضلك .

الجدة : احسنت القول . ولى ايضا .

بالبوا : لك انت ... لا . انا افهم أن يدير حفيدك

راسك . اما هذا النبيذ البيتى فكونى منه على حذر .

الجدة : (فى مرح ودلال دون ان تفقد وقارها) . الكأس الأخيرة حقا .. ارجوك يا فرناندو .. يا صغيرى .. مقدار اصبع واحد لا اكثر .. هكذا ... هكذا (يصب لها بالبوا فى كأسها فتمد هى يدها الى الزجاجة محاولة افراغ أكبر قدر ممن مميلة اياها بقدر ما تستطيع) يا لك من بخيل ! ..

ماوريثيو : اذن .. « القبة الدائرية المعلقة بين اربعة مثلثات مقوسة الأضلاع » .. يا لك من عبقرية فذة يا جدتى ! ..

الجدة : ولو أنه خطر لك أن تدرس الطب لرايتنى مهرولة أجرى منقبة عن الجراثيم . ولو انك درست علم الفلك لرأيتنى وقد ارتديت طرطورا مخروطيا أمام منظار مقرب فى هذا الحجم (تشير بيديها للدلالة على منظار مقرب ضخم) ولكن لا ... ان مهنتك هى خير المهن جميعا . فعمل الرجال الحقيقى هو انشاء البيوت . وعلى النساء بعد ذلك أن يملأنها .. (ترفع كأسها) ... ولتحى العمارة المدنية ! ...

ايزابيل : يكفى يا جدة . لقد أمضيت يوما حافلا بالانفعالات وتوتر الأعصاب . وعليك الآن أن تخلدى الى الراحة .

الجدة : هذه الليلة ؟ اأخلد الى النوم فى هذه الليلة

بعد ان بقيت انتظرها عشرين سنة ؟ ليس فى وسع قوة مهما بلغت ان تحملنى هذه الليلة الى الفراش !

بالبـوا : ايوخينيا . انه من الخير لك ..

الجـدة : والآن . قليلا من الموسيقى يا ايزابيل . لقد كنت دائما متشوقة الى ان اسمعك تعزفين تلك القطعة الايرلندية
«My heart is waiting for you»

ايزابيل : ماذا ؟

الجـدة : «My heart is waiting for you» تسمى كذلك بالانجليزية ؟

ايزابيل : (فى فزع) اوه yes . . . yes . . . yes

الجـدة : انهـا اجمل اغنية تعجبنى ... هى نفس الأغنية التى كنت تعزفينها حينما تعرف عليك ماوريثيو . الا تذكرين ؟

ايزابيل : (وقد تمالكت نفسها تقول فى طلاقة) : اوه yes . . . yes . . . yes

الجـدة : الى البيانو اذن يا حبيبتى .. الى البيانو ! (تذهب الى البيانو دون ان تفارق يـدها الكأس ، فترفع غطاءه وتعده للعزف) .

بالبـوا : هل جننت ؟ موسيقى فى مثل هذه الساعة ؟

ماوريثيو : (هامسا فى اذن ايزابيل بسرعة وقد أخـذ بذراعها) : هل تعرفين العزف على البيانو ؟

ايزابيل : (هامسة) : لست اعرف الا قطعة واحـدة « البوليرودى رافيل » وباصبع واحد .

ماوريثيو : (هامسا) : يا للمصيبة ! (ثم متجها الى الجدة) هذه الليلة لا يا جدتى ، فان ايزابيل مجهدة من السفر .

الجـدة : ليس هناك ما يريح الاعصاب مثل الموسيقى . هيا .. هيا ! ...

ماوريثيو : غدا يا جدتى او فى يوم آخر ..

الجـدة : ولم لا تعزفها الآن ؟

ماوريثيو : قد يكون ما اقوله لك من قبيل التطير ، ولكنى لم ار ايزابيل تشرع فى عـزف هذه القطعة الا وقع حادث سيىء (فى هـذه اللحظة يسمع صوت انكسار كأس ايزابيل تكون قد اقتربت من المائدة وظهرها الى الجمهور ، مع انكسار الكأس تطلق ايزابيل صرخة وترفع يدها بسرعة) الم اقل لك ؟ ما الذى حدث ؟

ايزابيل : لا شيء ... زجاج الكأس ..

الجـدة : هل جرحت يدك ؟

ايزابيل : جرح لا خطر له ... مجرد خدش بسيط .

بالبـوا : بسرعة .. احضرى قليلا من الكحول ومن الشاش .

الجـدة : لا ضرورة لذلك . فان منديلا مبللا بما امامنا من نبيذ يمكن ان يؤدى نفس الفرض .

ماوريثيو : بلى .. هناك كان .

الجـدة : ما كان أشد شوقى الى الاستماع الى حديث ذلك منك أنت !

ماوريثيو : آه ... عن رحلتى الى البحيرات الكبرى ؟ لقـــد كانت أشبه بحديث خرافة ! تصورى عربة انزلاق على الجليد يجرها أربعة عشر كلبا قد طوقت بأطواق من الأجراس ، وهنـا قطعان الظباء ، وهناك غابات الصنوبر كأنما أنت أمام مشهد لا يحده البصر من المشاهد التى تمثل عيد ميلاد المسيح ... وفيما وراء ذلك بحر من الماء العذب تتألف منه البحيرات الخمس ، والجبال الشامخة التى تنطح ذراها السماءوقد تكللت هاماتها بتيجان من الجليد .

الجـدة : ولكن .. كيف ؟ هل هناك جبال فى منطقة البحيرات الخمس ؟

(الجد يسعل منبها)

ايزابيل : (تسرع لانقاذ الموقف) : ماوريثيو دائمـا بمبالغاته ، وهو يسمى كل ما ارتفع قليلا عن الأرض جبلا . لقد حدث مرة أن رأينا قطا جبليا قد اعتلى شجرة . فظل أسبوعا كاملا ولا حديث له الا عن النمر والغابات .

ماوريثيو : لقد كنت أريد أن أقول : الربى . اذ أن كل ربوة تبدو فى اسكوتلاندا الجديدة كما لو كانت جبلا ، فالأرض هناك ليست الا سهولا منبسطة لا نتوء فيها .

الجـدة : ولكن اسكوتلاندا الجديدة تقع فى الشرق . فما علاقتها بمنطقة البحيرات الخمس الواقعة فى الناحية الأخرى فى أقصى الغرب ؟

ماوريثيو : (مستعدا لمناقشتها) آه ... كذا ؟ اذن هى فى أقصى الغرب ؟

الجـدة : أتريد مناقشتى أنا ، وقد تتبعت رحلاتك كلها يوما بعد يوم دراسة اياها على الأطلس الكبير المودع فى مكتبة الجد ؟

بالبـوا : (يسعل من جديد قاطعا الحديث حتى يغير مجراه) : يالكندا من بلد عظيم ! ... نعم بلد عظيم !.. أتريد كأسا ثانية ؟

ماوريثيو : نعم . وشكرا .

الجـدة ولى أيضا . آخر كأس .

بالبـوا : (وهو يصب النبيذ) : وكيف حال أعمالك ؟

ماوريثيو : أى أعمال ؟

ايزابيل : وأى أعمال ستكون ؟ البيوت .. العمارات .. الفنادق الكبرى .

الجـدة : ألم تضطلع ببناء كنيسة ؟

ماوريثيو : لا ... عمارة مدنية فحسب .

الجـدة : يا للأسف ! لقد كان بودى أن أراك تحـل بنفسك مشكلة بناء الكاتدرائيات ذات الطراز القوطى :

(تغمس منديلها فى الكاس وتربط لها يدها)
هكذا ؟ .. مسكينة يا بنيتى .. هل يؤلمك ؟

ايزابيل : أؤكد لكم انه جرح بسيط ليس له أدنى اهمية ان الشىء الوحيد الذى آسف له اننا حرمنا الجدة مما كانت تود سماعه من الموسيقى .

ماوريثيو : اما هذا فلا ... فسأعزف لها انا شيئا من مبتكراتى .

الجدة : ولكن ... هل تؤلف انت الموسيقى أيضا ؟

ماوريثيو : احيانا .. هى دعابات اقوم بوضعها انتقاما مما انا غارق فيه من ارقام ومعادلات؛ مثل هذه (يجلس ويجرى اصابعه بمهارة على البيانو كما لو كان يهم بارتجال شىء) شهر ابريل فى الغابة .. الجليد قد بدأ فى الذوبان .. هذا هو ذوبان الجليد (نغمات غليظة) السناجيب تتوثب من غصن الى غصن .. هذا هو توثب السناجيب (نغمات رفيعة تتردد بسرعة) وغناء البلبل يعلن قدوم الربيع .. هذا هو البلبل (يغنى) :

غدا يذوب الجليـــد .. وينقضى الأمس
وفى الربيع الجديد .. ستشرق الشمس
على غرام وليـــد .. تحيـــا به النفس

من بعد طول عدم
هلا هلا هلا
من بعد طول عدم
الشمس قالت : لهلا

والليل جاوب : كلا
وبلبل الحب .. آه

متى يقول نعم ؟
هلا هلا هلا
متى يقول نعم ؟

الجدة : مثل هذه المقطوعة ينبغى أن تكون صادرة عنك ! (ترفع كأسها) فى نخب اعظم حفيد انجبته أعظم جدة ! .. ولتحى الموسيقى « المدنيــة » ! .. هوبى !.. (ضحكات) والآن .. مرة اخرى . وليشترك الجميع فى الغناء .. أولاذوبان الثلوج ... ثم السناجيب الآن السناجيب ... وهنا يأتى البلبل ! (يرددون الأغنية يقودهم ماوريثيو الذى يبرز صوته على أصوات الباقين ؛ ضحكات وتصفيق) كأس أخرى يا فرناندو .. فى نخب البلبل المبشر بالربيع . انه آخر كأس حقا هذه المرة ... آخر كأس .. (يصيبها اغماء مفاجىء فترفع يدها الى قلبها . ايزابيل تهرع اليها لتسندها)

ايزابيل : جدتى ! ..

بالبوا : يكفى يا ايوخينيا . الى الفراش الآن .

الجدة : (تسترد انفاسها وتحاول الابتسام) لا .. لم يكن شيئا ذا خطر . انه هذا الملعون الصغير الذى يجلب علينا كل ما هو خير وكل ما هو شر ! ولكن لاتظنوا انى قد أصابنى دوار . كل ما هناك هو قليل من الضباب

يفشى نظرى .. ايجب على ان اذهب الى الفراش ؟ فى هذا الوقت المبكر ؟

ايزابيل : هذا من الأفضل يا جدتى .. وغدا سيكون لنا اجتماع آخر .

الجدة : غدا ! .. ما اطول الليل فى انتظار الغد ! ليلة سعيدة يا ماوريشيو .. حتى الغد يا بنتى ! تعانقها . ايزابيل ترافق الجدة حتى الباب)

بالبوا : (لماوريشيو) : اذا كنت معتادا على قراءة شيء قبل النوم فانك تعرف أين توجد المكتبة . هل تريد كتابا معينا ؟

ماوريشيو : نعم . كتابا فى هندسة العمارة ، واطلس لكندا .

الجدة : هيا بنا يا فرناندو . وغدا المقطوعة الايرلندية أليس كذلك ؟ اتمنى لكما احلاما سعيدة !(تخرج هى والجد ضاحكين ومرددين المقطع الأخير من اغنية ماوريشيو . حينما يبقى ماوريشيو وايزابيل وحدهما يتنفس هو تنفسا عميقا كأنما انزاح عن كاهله عبء ثقيل ويفك أزرار قميصه العليا . ايزابيل ترتمى منهكة القوى على أحد الكراسى)

(ايزابيل وماوريشيو))

ماوريشيو : اخيرا .. الحمد لله . لقد خرجنا بخير من المأزق .

ايزابيل : ليت كل شيء ينتهى عند هذا الحد ، انه لم يمر على فى حياتى موقف احرج من هذا الذى خرجنا منه الآن . لقد بدا لى كانما كنا من لاعبى السيرك الذين يمشون حافين على بساط من الخناجر .

ماوريشيو : الحق ان السيدة خطرة جدا . ان لها ذاكرة عجيبة لا يكاد يغيب عليها شيء مهما كان صغره .

ايزابيل : لا غرابة فى هذا ، فقد مرت عليها سنوات وسنوات لا تفكير لها خلالها فى شيء آخر ، ولكن .. ترى ما الذى سيحل بهذه المراة المسكينة لو أنها اكتشفت الحقيقة ؟

ماوريشيو : علينا يتوقف كل شيء . لقد زججنا بنفسنا فى هذا المأزق وقد فات أوان التراجع الآن .

ايزابيل : وغدا .. سنواصل تمثيل هذه المسرحية ؟.. ولكن حتى متى ؟

ماوريشيو : هى أيام قليلة فقط . ثم تأتى برقية زائفة تدعونا الى السفر بصفة عاجلة ، وتبقى ذكرانا هنا بعد ذلك الى الأبد .

ايزابيل : لماذا كلفتنى بهذه المهمة الثقيلة ؟ اننى لم أعد قادرة على احتمال المزيد .. لست قادرة يا ماوريشيو .

ماوريشيو : الى هذا الحد يبلغ خوفك من الاستمرار ؟

ايزابيل : انه من أجلها هى.. قد يكون جميلا كل ماقمنا

به حتى الآن . غير انى وانا أتأملها منساقة فى هذا التيار كأنها طفلة لا تسعها الدنيا سعادة لم اكن اتمالك نفسى ، وما اكثـــر ما كتمت مشاعرى وضغطت على نفسى حتى لا اصرخ معترفة لها بالحقيقة وطالبة منها الغفران .. انها لعبة بالغة القسوة تلك التى تلهو بها .

ماوريثيو : هذا ما كنت اخشاه : العاطفة تقحم نفسها فى العمـــل . اننا لن نصل الى شىء اذا سمحنا بذلك .

ايزابيل : لقد بذلت كل ما استطيع من جهد . ألم أقم بعملى كما ينبغى ؟

ماوريثيو : فى البداية نعم : ذلك الحياء الذى كان يبدو عليك عند الوصول ، ومشهدك وأنت تتحدثين عن البيت وذكرياته ، كل ذلك قمت بأدائه على خير وجه . ولكن ، بعد ذلك .. تلك الزفرة العميقة وأنت ترتمين فى ذراعيها ..

ايزابيل : لم اتمالك نفسى . فأنا أعرف ايضــا ما تعنيه حياة امراة وحيدة تنتظر .

ماوريثيو : هذا هو ما يجب تصحيحه منذ البدء . ان الفن يا آنسة لايصنع هنا « يشير الى القلب » . بل هنا ! (يشير الى الجبهة) .

ايزابيل : الم يغلبك أنت الانفعال ولو مرة واحدة ؟

ماوريثيو : الانفعال الحقيقى لا وجود له فى العمل الفنى . ولأضرب لك مثلا : الم تلاحظى مـدى اللهفة

التى كنت التهم بها فطائر الجوز بعسل النحل؟ اذن فلتعرفى انه اذا كان هناك شـيئان لا أستطيع احتمالها بأى حال من الأحوال فهما عسل النحل والجوز . وهذا هو ما أسميه الضمير الفنى . هل أعجبتك انت تلك الفطائر؟ (بلهجة من هو متأكد من أن جوابها سـيكون بالنفى)

ايزابيل : لقد كانت رائعة حقا !

ماوريثيو : هذا رأيك أنت على كل حال

ايزابيل : وهذه الرعشـــة اذن فى صوتك وأنت تراها لأول مرة ؟

ماوريثيو : هى حيلة بدائية يعرفها حتى أبسط المشتغلين بالمسرح .

ايزابيل : وهذا العنـــاق الطويل فى صمت مؤثر وقوة جعلت عينيها تفيضان بالدموع ؟

ماوريثيو : لقدكنت أعددت لكلشىء عدته: اذ انه يصعب على عينين مغرورقتين بالدمــوع ان تريـــا بوضوح . أتفهمين الآن ؟ (ايزابيل تنظر اليه كما لو كانت قزما ينظر الى عملاق) .

ايزابيل : الآن ، نعم . يبدو لى انه يجب على أن أتعلم الكثير بعد .

ماوريثيو : نعم ، أمامك أشياء كثيرة . ولكنك ستصلين فى النهاية يا ايزابيل .

ايزابيل : لماذا تصر على ندائى باسم ايزابيل ونحن وحدنا ولا يسمعنا الآن أحد . اناسمى الحقيقى هو مارتـا .

ماوريشيو : ولكن ليس هنا . فنحن الآن نعيش حياة اخرى وعلينا ان ننسى حياتنا الخاصة نسيانا كاملا فحذار من الخلط بينهما .

ايزابيل : حسنا . والآن نبهنى الى اخطائى فى هـذه الليلة حتى اتمكن من تجنبها .

ماوريشيو : قبل كل شىء : القبلة . اعنى القبلتين . أما الأولى فقد كانت بالفة الـ ...

ايزابيل : ... البرودة ؟

ماوريشيو : البرودة . كانت قبلة اخوية . مـع أن ثلاث سنوات تمضى على زواج ليست وقتا كافيا لكى تصير القبلة باردة الى الحد . اما القبلة الثانية .. القبلة الثانية كانت على العكس أكثر مما ينتظر بعد ثلاث سنوات من الزواج .

ايزابيل : كانت حارة أكثر مما ينبغى ؟

ماوريشيو : نعم . ولتعلمى ، ان النسب فى الفن هى كل شىء .

ايزابيل : معـذرة . لن يتكرر هـذا الخطأ مرة اخرى يا سيدى .

ماوريشيو : هذا هو ما أرجوه . أما الملاحظة الثانية فهى الا تجعلى بيننـا اى كلفـة فى الخطـاب . ولتذكرى اننى زوجك .

ايزابيل : ولكننا الآن وحدنا .

ماوريشيو : حتى ولو كنا وحدنا . يجب أن تعودى نفسك حتى لا تقعى فى مثل هذا الخطأ اذا لم نكن وحـدنا . أتعـرفين ما يفعله الرجل المتزوج وعشيقته اذا الجأتهما حياة المجتمع الى اللقاء أمام الناس ؟ اذا كانا ذكيين فانهما يعـودان نفسيهما فى خلواتهما على التخاطب فيمـا بينهما دون رفع للكلفة حتى لايخطئا بعد ذلك أمام الناس . وعلينا نحن ان نفعل مثل ذلك. ولـكن على العكس .

ايزابيل : آسفة . لم أكن أعرف ذلك . ومسألة اللغة : كيف سنعالجها ؟

ماوريشيو : أى لغة ؟

ايزابيل : لغتى أنا .. الانجليزية . فانت ترى أن الجدة تعرفها. أما أنا فحتى لو حاولت تعلم القواعد الأساسية الأولى فما أظنك تطالبنى بأن أتعلم ذلك فى ليلة واحدة ! .

ماوريشيو : يجب بذل أقصى الجهـد . لقـد أصبحت الانجليزية اليوم لغـة من الأهمية الى حـد سيحمل حتى سكان الولايات المتحـدة على محاولة تعلمها .

ايزابيل : أوه ، .. ! ..

ماوريشيو : أتسخرين مما أقول ؟

ايزابيل : كيف يخطـر على بال التلميذة أن تسخر من أستاذها ؟ مثل هذا خطأ لايمكن اغتفاره .

ماوريثيو : لا لا . بلا سخرية . انى الاحظ ان بك شيئا لا ادرى ما هو . فانت تنظرين الى منذ لحظة كما لم ارك من قبل ، حتى انى أراك كما لو كنت قد تحولت الى امرأة أخرى .

ايزابيل : الا يجوز انك انت الذى تبدو لى كما لو كنت قد تحولت الى رجل آخر ؟ (تقترب منه فى تودد) اسمع يا ماوريثيو . منذ ايام قلت لى ان مقلد الطيور الذى لديكم كان يغنى خيرا من بلبل حقيقى . اكنت تتحدث جادا عندما قلت ذلك ؟

ماوريثيو : كل الجد . فان حيوانا بسيطا مهما كان جميلا رائعا فانه لا يمكن ان يقارن بفنان .

ايزابيل : اذن انت تعتقدها حقا وصدقا ان قيمة الفن تسمو على قيمة الحياة الحقيقية ؟

ماوريثيو : دائما . انظر مثلا الى شجرة السرو وهذه المنتصبة فى الحديقة . ان لها اليوم قيمة لأنها تهبنا الزهر والظل . ولكن غدا حينما تموت كما يموت كل الشجر – واقفة فى صمت . . غدا لن يعود احد الى تذكرها . ولكن لو ان فنانا مقتدرا قام برسمها فانها ستعيش الى الأبد . سؤالا آخر ؟

ايزابيل : لا شىء . هـذا هو كل ما أردت معرفته . . (تتوجه الى السلالم)

ماوريثيو : لحظة واحدة. حتى الآن لم افعل الا تصحيح

الأخطاء . ولكن ليس من العدل الا انى على ما أصبت من توفيق .

ايزابيل : وهل كنت موفقة فى شىء ؟ الحمد لله !

ماوريثيو : ولا سيما فى امر أساسى : الحيلة التى اصطنعتها حتى تتجنبى العزف على البيانو.

ايزابيل : آه . التظاهر بأن يدى قد جرحت . اعجبتك الحيلة ؟

ماوريثيو : ولا أنا نفسى كنت استطيع ان أمثل هـذا الدور خيرا مما فعلت انت . والآن قولى لى: كيف طليت يدك بلون الدم ؟ بأحمر الشفاه ؟

ايزابيل : نعم ، بأحمر الشفاه .

ماوريثيو : لقد تصورت ذلك على الفور . تهانى الخالصة (يشد على يدها بحرارة ، ايزابيل تكتم صرخة الم وتسحب يدها بسرعة (ماوريثيو ينظر اليها فى دهشة (ما الذى أصابك ؟

ايزابيل : لا شىء .. انه توتر الأعصاب (تتوجه نحو السلالم . ماوريثيو يوقفها فى لهجة آمرة ، ثم ينزع المنديل الذى ربطت به يدها) .

ماوريثيو : انتظرى ! قولى لى : هل تعمدت أن تجرحى يدك بزجاج الكأس المكسور ؟

ايزابيل : لم تخطر على بالى فكرة أخرى . انه لكى يصوغ المرء أكذوبة فعليه انيعانى اختراعها.

اما الحقيقة فهى على العكس فى غاية من البساطة والسهولة . مساء الخير (تعود لربط المنديل على يدها وتبدأ فى صعود السلالم) .

ماوريثيو : الن تغضبى منى اذا قلت لك شيئا ؟

ايزابيل : قل .

ماوريثيو : انت على قدر أكثر مما ينبغى من الاخلاص ولهذا فانك لن تكونى فنانة حقيقية .

ايزابيل : شكرا . ان تلك العبارة هى خير ما سمعته منك فى هذه الليلة (تهم بمواصلة طريقها ، غير انها تلتفت اليه قائلة) : وانت .. الن تغضب اذا قلت لك شيئا آخر ؟

ماوريثيو : قولى .

ايزابيل : لو ان اشجار العالم حل عليها يوم يكتب فيه الفناء عليها كلها فيما عدا شجرة واحدة فانى أود أن تكون شجرة السرو هذه . اتعذرنى على ما قلت ؟

ماوريثيو : أعـذرك .

ايزابيل : مساء الخير يا ماوريثيو .

ماوريثيو : حتى الغد .. يامارتنا ايزابيل (يظل مستندا الى سياج السلالم وهو ينظر اليها فى صعودها . من أعلى تسمع دقات الساعة) .

ستار

الفصل الثالث

المنظر الأول

(نفس المكان الذى جرت فيه أحداث الفصل الثانى . الزمن : بعد الفصل السابق بعدة أيام ، فى المساء . يبدو المسرح خاليا ، يدق جرس التليفون عدة مرات ، فتدخل الخادمة وتتوجه الى جهاز التليفون بينما يرى ماوريثيو نازلا السلالم)

(فليسا وماوريثيو)

فليسا : آلو ! ماذا ؟ لا يا آنسة .. لقد أخطأت الرقم مرة اخرى .. العفو :

ماوريثيو : من كان على التليفون ؟

فليسا : رقم خطأ . هذه هى المرة الثالثة التى يتكلم فيها نفس الصوت سائلا عن نفس العنوان .

ماوريثيو : ربما كان تشابكا فى الخطوط . عمن كانت تسال ؟

فليسا : عن شارع «الأروموس» رقم ٢٤٤٨ . تصور ياسيدى : فى الطرف الآخر المقابل من المدينة ! (ماوريثيو يتناول تفاحة من طبق الفواكه الموضوع على المائدة فينظفها بكمه ويشرع فى اكلها) ايريد السيد شيئا ؟

ماوريثيو : لا . شكرا .

فليسا : احضر سكينا وطبقا ؟

ماوريثيو : لا .. ابدا . فالتفاحة بسكين وطبق تتحول الى طعام . اما هكذا فانها مجرد طبيعة .

فليسا : ماذا قال السيد ؟

ماوريثيو : لا . لا شىء يا فليسا . مع السلامة .

فليسا : فى خدمتك ياسيدى . (ماوريثيو ينتظر قليلا حتى تخرج ، ثم يهرع الى التليفون ، فيطلب رقما بينما يستمر فى اكل التفاحة) .

ماوريثيو : آلو .. ايلينا ؟ نعم . فهمت طبعا . هل هناك جديد ؟ آه .. اظن أن ف/٤٨ سيكون سعيدا الآن بقدوم هذين المركبين اليونانيين، فها قد حانت له فرصة استخدام اللغة اليونانية .. لغته المفضلة . ولكن اوصيه من فضلك بألا يحدثهم عن (البارتينون) . كل شىء هنا على مايرام فيما عدا الليلة الأولى التى تعثرنا فيها قليلا ، اما الآن فقد استقام

كل شىء . واما الجدة فانها شخصية ساحرة ولو كان فى امكانى ان اختار لى جدة لما اخترت اخرى . من ؟ ايزابيل ؟ سعيدة ، وهى تتقدم يوما بعد يوم . انها ستكون من أعواننا الممتازين .. لو اننا تركنا لها الخيار لبقينا هنا الى الابد ، ولكن حان وقت اسدال الستار . اعدى لى برقية من كندا بالنص الذى سأمليه عليك : « مشروع البيوت السكنية الرخيصة لحى العمال وافقت عليه الجهات الرسمية . يجب حضورك فورا » . التوقيع «هاملتون» . كررى على ماكتبت .. نعم ، هكذا . أريد أن تصلنى هذه البرقية غدا فى الصباح الباكر، ويصلنى فى المساء تذكرتان زائفتان للسفر بالطائرة . لا ، لا أريد اكثر من ذلك . شكرا يا ايلينا . الى الغد . (يضع سماعة التليفون ويخرج الى الحديقة وهو يصفر بأغنيته التى عزفها على البيانو . من اليسار تدخل الجدة فى اضطراب وتوتر ووراءها خينوفيفا) ..

(الجـدة وخينوفيفا)

الجـدة : لا ، لا يا خينوفيفا . مستحيل . لقد قلبت الموضوع على كل وجوهه ولم اجد سبيلا الى تصديقه . انت متأكدة ؟

خينوفيفا : ولم اكن أنا بدورى أود تصديقه لولا انى رأيته بعينى رأسى .

الجـدة : ولماذا لم تنبهينى الى ذلك من قبل ؟

خينوفيفا : الحقيقة اننى لم اجرؤ ، فهذه اشياء دقيقة حساسة . ولو لم تسدى انت على كل المنافذ بأسئلتك لما فهمت بكلمة واحدة .

الجـدة : ولكان من الخطأ الا تقولى لى . اما الآن فمن الخير توضيح كل الحقيقة على الفور .

خينوفيفا : ولو اتضح بعد ذلك اننى كنت انا المخطئة ؟ .

الجـدة : اذن لما كنت انت وحدك المخطئة . فقد كنت انا ايضا طوال الأيام الماضية احاول الاهتداء الى تفسير لما يحدث ، ولكنى كنت دائما اصل الى نفس النتيجة . وقد كان قلبى يحدثنى دائما بأن هناك شيئا غريبا يجرى هنا .

خينوفيفا : وهل كانت السيدة اذن تشك ايضا فى الأمر ؟

الجـدة : منذ الليلة الأولى : نظرة من هنا وكلمة من هناك ... هذا هو ما أوقع الشك فى نفسى ولكنى كنت استطيع تصور اى شىء ماعدا هذا . اين ايزابيل ؟

خينوفيفا : اتنوين التحدث اليها ؟

الجـدة : نعم . والآن بغير انتظار . او تظنين اننى من أولئك النساء اللاتى يتجسسن من وراء الأبواب تلمسا للحقيقة ؟ اين ايزابيل ؟

خينوفيفا : هى فى الحديقة تروى الزهور .

الجـدة : ناديها .

خينوفيفا : (مترددة) ارجوك يا سيدتى .. تروى فى الأمر ..

الجـدة : ناديها ... قلت لك . (خينوفيفا تطل على الحديقة وتنادى)

خينوفيفا : ايزابيل ! .. ايزابيل ! .. هى قادمة .

الجـدة : اتركينا الآن وحدنا . (تخرج خينوفيفا متوجهة الى المطبخ . تأتى ايزابيل وقد حملت بين ذراعيها حزمة من الأزهار) ..

(الجدة وايزابيل)

ايزابيل : أكنت تنادينني ؟

الجـدة : اقتربى منى . وانظرى الى وجها لوجه ، ثم أجيبينى بغير تردد . ما الذى تخفينه عنى طوال هذه الأيام ؟

ايزابيل : أنا ؟ ...

الجـدة : بل أنتما الاثنان .

ايزابيل : جدتى ! ..

الجـدة : كلمينى دون أن تحولى نظرك عنى .. أجيبى .

ايزابيل : لست أفهم شيئا .

الجـدة : بل تفهمين بما فيه الكفاية . ولا جدوى الآن من التمادى فى التمثيل . انى أعرف أن

فى الأمر اعترافا بشىء يتعلق بحياتكما الخاصة ، وربما كان فيه لذلك ما يؤلم النفس . ولكنى لا اكلمك باعتبارى جدة تتحدث الى حفيدة ، بل امرأة الى امرأة . ايزابيل ، ما الذى بينك وبين ماوريثيو ؟

ايزابيل : اقسمت عليك بأعز شىء لديك . ما الذى ترتابين به ؟

الجدة : ليس ذلك من الارتياب فى شىء ، بل هى الحقيقة . فى هذا الصباح حينما صعدت خينوفيفا بطعام الافطار لكما وجدتك نائمة فى الفرفة المجاورة . اتستطيعين أن تفسرى لى معنى ذلك ؟

ايزابيل : (تتنفس الصعداء كما لو كانت قد انزاح عنها كابوس) : مسألة الفرفة ؟ وهذا هو كل شىء ؟

(تضحك فى عصبية)

الجدة : لست اظن ان فى الأمر ما يدعو الى الضحك بل على العكس ، هذه الضحكة العصبية نفسها .. الا تعنى شيئا ؟

ايزابيل : لا شىء ... ولكنك كنت تحدثيننى فى لهجة كما لو كنت قد اكتشفت شيئا رهيبا .

الجدة : وهل يبدو لك الأمر بهذا القدر من الهوان ؟ ان كون زوجين يأويان الى فراشين منفصلين يبدو لأول وهلة شيئا منافيا للاخلاق ،

ولكنه يمكن ان يعنى شيئا اخطر من ذلك : ان الحب الذى ربط بينهما قد انطفات جذوته .

ايزابيل : لا يا جدتى .. كيف خطر على بالك مثل هذه الفكرة ؟

الجدة : أليس لديه هو مايدفعه الى ذلك ؟

ايزابيل : لا يا جدتى ، على الاطلاق . كل ماهناك هو أن النافذة المطلة على الحديقة يدخل منها البعوض . وماوريثيو لايحتمل البعوض بوجه من الوجوه .

الجدة : وهل لديك انت مايدفعك الى النوم فى غرفة أخرى ؟ والا فأى زواج هذا الذى يسمح بأن تفرق فيه بين الزوجين بعوضة ؟

ايزابيل : ولكنها لم تكن بعوضة ، ولا اثنتين ، ولا ثلاثا بل جيوشا جرارة من البعوض .

الجدة : حتى ولو كان كذلك ! انى فى مثل سنك لم أكن اسمح بأن يفرق بينى وبين زوجى ولا الآفات العشر التى اجتاحت مصر فى أيام موسى . لتعدينى بألا يتكرر ماحدث .

ايزابيل : لا تشغلى بالك بهذا الأمر . ولكنى اتساءل : ما أهمية افتراق مؤقت لا يستغرق الا عدة لحظات .

الجدة : ليست اللحظات هى التى تشغلنى فحسب ، بل هى كل دقائق الحياة . فان المرء اذا بلغ

السن التى بلغت فانه لا يجد سعادة اكبر من تأمل سعادة الآخرين . وانه لمن المحزن حقا ان تحاولا اسعادى متظاهرين بما لا تشعران به شعورا صادقا .

ايزابيل : وهل وصلت الى حد الظن بانى وماوريثيو غير متحابين ؟

الجـدة : اما امامى انا فيبدو ان كلا منكما مغرم بحب الآخر الى ما لا مزيد عليه . واما بعد ذلك .. بالأمس حينما كنتما تتناولان الشـاى فى الحديقة كنت انا فى النافذة ارقبكما . لم اجدكما تتبادلان نظرة ، ولا كلمة واحـدة . كان هـو مستغرقا فى التفكير ، بينما كنت انت تحركين الشاى ونظرك ساهم مثبت فى الارض . وحينما شرعت فى تناوله كان قد برد .

ايزابيل : ان الصمت لا يعنى شيئا . فما اكثر الطرق التى يجتمع بها رجل وامراة فى مكان واحد

الجـدة : ايمكنك ان تقسمى لى صادقة على انك سعيدة سعادة كاملة ؟

ايزابيل : لماذا توجهين الى هذا السؤال ؟

الجـدة : لا أدرى .. ان هناك شيئا غريبا بينكما ، فانا اشعر كما لو كنت امامه تشعرين بالخوف منه ، وكما لو كان هو السيد الآمر المطاع . والحب الحقيقى ليس فيه بين الحبيبين آمر ، بل كلاهما مأمور مطيع .

ايزابيل : أن ماوريثيو من السمو على فى كل شيء الى حد انه لا يحتاج الى ان يامرنى بشيء حتى اشعر انا بالسعادة فى طاعتى له .

الجـدة : انه لامر سيىء ان تفكرى مثل هذا التفكير . ولكن اسوأ منه ان يعرف هو عنك ذلك ، فنشدتك الله الا يفطن اليه والا انتهيت الى اسوأ مصير . لقد قيل دائما ان الحب اشبه مايكون بهذه العربات الصينية : واحد مستقر فى داخلها جالس مستريحا من كل عناء ، والآخر عليه ان يتجشم عناء جرها . ويبدو لى أن الدور الذى قسم لك هو جر العربة .

ايزابيل : وما الذى يهم اذا كان من فى داخل العربة ملكا خالصا لى . بل وددت والله ان يكون الحمل اثقل والطريق اشق حتى اكون اكثر استحقاقا لمتعة الوصول .

الجـدة : ولكن ما الذى تقولين ؟ انت تتحدثين عن زوجك كما لو لم يكن كذلك ، كما لو كان عليك بعد أن تظفرى به .

ايزابيل : ذلك لأنك لا تستطيعين ان تتصورى كل مايعنيه ماوريثيو بالنسبة لى . انه اكثر من الحب ، هو الحياة كلها . لقد كنت فى اليوم الذى عرفته فيه فى حالة من اليأس لم يكن يهمنى معها ان ادع نفسى فريسة للموت فى ركن من الأركان كما لو كنت كلبا قد استسلم لمصيره تحت وطأة البرد .. فى تلك اللحظة

أعترض ماوريشيو طريقى وفى يده باقة من الورد وعلى شفتيه كلمة . وكان فى هذه الكلمة وحدها ما اعاد الى فجأة كل ماظننت اننى فقدته . وحينئذ ادركت من اعماق نفسى اننى مقبلة على ان أكون له الى الأبد . حتى ولو ابتعد عنى .. حتى ولو لم يعد الى النظر الى من بعد ذلك ابدا . وهأنذا الآن مرتبطة به .. بلحمه ودمه ، ولكنى سعيدة لكونه هو الرجل الذى ارتبط مصيرى بمصيره .

الجدة : ولكن الى هذا الحد من الجنون بلغت يا بنيتى ؟

ايزابيل : اذا كان هذا هو الجنون فبارك الله فى الجنون . وبارك الله فى هاتين العينين تنظران الى ولو لم تريانى !.. وبارك الله فى تلك اليد المحيطة بخصرى حتى ولو لم يكن ذلك الا حلما من الأحلام ! اسمعى ياجدتى (تجثو على ركبتيها الى جوارها) لقد سألتنى منذ ايام لماذا لم يكن يعجبنى ان أتحدث بلغة أخرى غير لغة ماوريشيو . اتدركين الآن لماذا ؟ ان اللغة ليست مجرد كلمات تعبر عن الأشياء ، بل هى الأشياء .. الحياة نفسها ، حينما كنت طفلة كانت أمى كثيرا ماتقول لى «حبيبتى» .. كانت كلمة من جملة الكلمات ، وحينما كنت فى سن الدراسة كانت المدرسة تنادينى قائلة «حبيبتى» .. كلمة اخرى مجردة . ولكن

عندما قالها ماوريشيو لى لأول مرة فى صوت لا يكاد يبين : «حبيبتى» لم تعد مجرد كلمة ، بل شيء حى يختلج فى باطن النفس وترتجف له أطراف الجسد . كانت كأنها مولد عالم جديد ، وكأنما لم يربط الحب بين رجل وامرأة قبلنا . وفى تلك الليلة لم استطع الاخلاد الى النوم . «حبيبتى ، حبيبتى ، حبيبتى!» ، فقد كانت الكلمة الحية تضطرب فى أذنى ، وعلى وسادتى ، وفى دمى . ولهذا فما الذى يهمنى الآن اذا لم ينظر ماوريشيو الى مادامت عيناى ممتلئتين منه ! ما الذى يهمنى من أن باقة الورود ستظل مرددة فى مسمعى قولها «غدا» مادام هو الذى منحنى القوة لكى انتظر الغد ، ويعود الى نفسى الأمل فيما يأتى به الغد !.. انه ليس من الضرورى أن يجد المرء من يحبه ياجدتى .. بل يكفيه ان يشعر بالحب حتى يحيا سعيدا. سعيدا . سعيدا . (يتزايد انفعال ايزابيل فى أثناء كلامها حتى تنتهى باكية وهى ترتمى فى حجر الجدة)

الجدة : كفى يا بنيتى ... كفى ! الحقيقة اننى لم أعد أعرف على اى رأى أستقر : فمنذ لحظة كنت أخشى ان يكون حبك له اقل مما ينبغى . واذا بى الآن أكاد أشعر بالرهبة وأنا اراك تحبينه الى هذا الحد . ولكن حذار أن تبوحى له بكلمة واحدة مما ذكرت الآن . اتسمعين ؟

وانتهزى فرصة شبابك الآن حتى تصعدى انت الى العربة ولندعه هو يجرها قليلا ، فلأمر ما هـو الرجـل ! (يظهر ماوريثيو ، فتنهض ايزابيل) .

(الجدة وايزابيل وماوريثيو)

ماوريثيو : اسرار خاصة بين الحماة وزوجة الابن ؟ من سيىء العواقب على الزوج !

الجـدة : ولمـاذا تفترض اننا كنا نتحدث عنك ؟ هل خلا العالم من اشياء اخرى يمكن الحديث عنها ؟

ماوريثيو : لم يخل العالم بطبيعة الحال .. ولعلها اشياء اهم بكثير ، فهل فى وسعى أن أعرف ما هى ؟

ايزابيل : لا تستحق كبير عناية . فهى من شـؤون النساء .

ماوريثيو : كنت اتصور ذلك . كنتما تتحدثان عن الثياب والفساتين بغير شك .

الجـدة : بغير شك . حفظ الله عليك نعمة الالهام وقراءة الغيب يا بنى . انى اظن أن الرجال الأذكياء مثلك يحسنون صنعا لو أنهم نزلوا بين وقت وآخر من السحب التى يعيشون فيها (تنظر الى ايزابيل » .. وتجولوا قليلا على سطح هذه الأرض المسكينة !

ماوريثيو : هل قالت لك ايزابيل شيئا ضدى ؟

ايزابيل : بل على العكس كنت أقص عليها مدى ما انا فيه من سعادة .

ماوريثيو : آه . ولمـاذا كنت تبكين اذن ؟

الجـدة : ان بعض النساء لهن مثل هذه الطريقة الفريبة فى الشعور بالسعادة ، ولتتعلم انت ، فقد تعودت ان يأتيك الخير من السماء دون ان تتجشم فيه عناء . وانظر كيف تكون معاملتك لها منذ الآن ، ولتعلم انها ليست وحيدة فنحن الآن اثنتان (تتجه الجدة الى الصوان فتخرج منه علبة من الكرتون) . خذ يابنى . فربما كنتما تحتاجان اليها .

ماوريثيو : وما هذا ؟

الجـدة : شىء يقضى على البعوض (تخرج الى الحديقة)

(ايزابيل وماوريثيو)

ماوريثيو : أى بعوض ؟

ايزابيل : بعوض كان على أن أخترعه ، بعد ان فاجأتك خينوفيفا هـذا الصباح نائما فى غـرفة الضيوف .

ماوريثيو : يا لسوء الحظ ! وكان هذا هو اليوم الوحيد الذى نسيت فيه اغلاق الباب من الداخل بالمفتاح .

ايزابيل : لا تقلق ، فقد استطعت تسوية الموضوع .

ماوريشيو : هل أنت واثقة ؟ الا يمكن ان تكون بعد فى شك من الأمر ؟

ايزابيل : على الاطلاق . فان المرء الى جوارك لا يلبث أن يتعلم الكذب فى طبيعية لاتسمح بأى شك!

ماوريشيو : انها طريقة مهذبة بالغـــة الرقة لتسميتى : « نصابا » .

ايزابيل : واسع الخيـــال . انه مجـــرد اطراء مهنى محض .

ماوريشيو : اظنك انك اجتزت أزمة عصيبة على حساب أعصابك كما هو الحال دائما .

ايزابيل : على كل شيء يمكن أن يتعود الشخص .

ماوريشيو : لحسن الحظ لم يبق امامنا الا القليل . ان لدى خبرا عظيما لك .

ايزابيل : آه ، شيء خير من لا شيء !..

ماوريشيو : فى ساعة مبكرة من صباح الغـــد ستتسلم برقية من كندا . وفى المساء تذكرتين للسفر بالطائرة .

ايزابيل : (فى رجفة) : لا .. أتريد ان تقول اننـــا ذاهبان ؟

ماوريشيو : نعم . لقد تكفلت ايلينا بكل شيء .

ايزابيل : وهل كان هذا هو الخبر العظيم ؟

ماوريشيو : الا يبدو لك كذلك ؟ لقـــد انتهت الصدمات المفاجئة ، وأوشكت على الراحة من ذلك الندم

الذى كان يحول بينك وبين النوم المطمئن . والآن لم تبق الا السهرة العـائلية الأخيرة وموقف وداع حافل بعبارات الوعود المعسولة ومرة أخرى الى الهواء الطلق ! ومهمتنا قـد تحققت كاملة ! الست مسرورة لذاك ؟

ايزابيل : جدا .. مسرورة جدا .

ماوريشيو : ماكان احد ليصدق ماتقولين وعلى وجهك مثل هذا التعبير .

ايزابيل : الحق أن الخبر كان فيه من المفاجأة ماجعلنى اشعر قليلا بالألم ..

ماوريشيو : اظنك لم تكونى تفكرين فى اننا سنظل هنـا طول الحياة . لقد طالما قلت لى انت نفسـك انها تمثيلية قاسية أشد مما تحتمله قواك .

ايزابيل : وهكذا كانت بالفعل فى أول الأمر . ولـكن الذى أعرفه الآن هو ان الدخول فى هـــذا العمل كلفنى الـكثير من المشقة . ولتر الآن مايكلفنى الخروج منه . غدا ؟..

ماوريشيو : غـدا .

ايزابيل : الم تكن تستطيع الانتظار قليلا ؟ .. يوما على الأقل ؟

ماوريشيو : ولمـاذا ؟ ان كل ما كان يمكننا أن نفعله من اجل هذه المرأة قد قمنا به فعلا .

ايزابيل : ليس من اجلها هى ياماوريشيو . الآن هو من اجلى انا . فانى اود توطين نفسى على فكرة الذهاب .

ماوريشيو : ما اغربك ! اننى اعترف باننى كلما زادت معاملتى لك كلما زاد عجزى عن فهمك . لقد كان اول عمل اسندته اليك من اعسر ماخضناه من مهام ، فاضطلعت به فى طبيعية مذهلة ممثلة دور فتاة حديثة عهد بالزواج سعيدة حقا ببيتها وزوجها . والآن وقد أوشك الستار أن يسدل .. اتراك سترتجفين من رهبة الموقف من جديد ؟

ايزابيل : لا أدرى .. ان هذا الذى تسميه انت المشهد العظيم الأخير يوقع فى نفسى الخوف .

ماوريشيو : الوداع ؟ انه أسهل المشاهد كلها : رعشة خفيفة وانت تعدين صناديق المتاع ، ونظرات طويلة ساهمة الى انحاء البيت كما لو كنت تودين ملاطفة كل ركن من أركانه بعينيك واحدا واحدا .. بل انك لا تحتاجين حتى الى مجرد الكلام . وانما يكفى أن تدعى شيئا يسقط من بين يديك كأنه انزلق منك عفوا . فان شيئا يقع هكذا فى صمت أبلغ فى التأثير من الكلام . لماذا تنظرين الى هكذا ؟

ايزابيل : انى معجبة بك .

ماوريشيو : تسخرين بى من جديد ؟

ايزابيل : بلا سخرية ، انا معجبة بك حقا . وانه لما

يدهشنى منك ومن امثالك من الحالمين ماجريتم عليه من كونكم لا ترون فى وضوح الا الأشياء البعيدة عن مرمى ابصاركم . قل لى يا ماوريشيو : هل تذكر لون عينى «الجيوكوندا» ؟

ماوريشيو : أخضر قاتم فى لون الزيتون .

ايزابيل : وعيون عرائس البحر ؟

ماوريشيو : خضر فى لون امواج البحر .

ايزابيل : ولون عينى انا ؟

ماوريشيو : عينيك أنت ؟.. (فى تردد وشك يدنو منها ناظرا الى عينيها . تطرف هى اجفانها وتبتسم فى اضطراب) لا تسيئى الظن بى ، فقد يبدو ذلك على انه عدم اهتمام وبعد عن رسوم المجاملة ، ولكنى اقسم لك اننى فى هذه اللحظة لا اعرف ما هو لون عينى انا .

ايزابيل : لونهما رمادى أشهب يضرب الى لون البندق. وتتوهج منهما شرارة ذهبية حينما تضحك ويغشاهما ضباب رمادى حينما تتكلم بينما انت تفكر فى شىء آخر بعيد .

ماوريشيو : اعذرنى !..

ايزابيل : لم تفعل شيئا يستحق الاعتذار . (تبتسم متمالكة نفسها) . وغدا حينما ينزلق شىء بين يدى وانا اعد الحقائب «عفوا بغير أن أتعمده» فلا تهتم . اذ ان ذلك لن يكون راجعا

الى فرط تأثرى من الموقف . وانمــا لانى تعلمت على يدى اســتاذ بارع . شــكرا يا ماوريثيو . (تخرج الى الحديقة . الظلام يحل بالتدريج . فى الخارج ظلال المساء .. ماوريثيو يشعل سيجارة وهو ساهم مفكر ، تسمع دقات جرس الباب الخــارجى ، ثم تدخل الخادمة مخترقة المسرح متوجهة لفتح الباب . يأتى بالبوا من غرفته وهو يحمل كتابا فى يده) .

(ماوريثيو وفليسا وبالبوا)

بالبــوا . اذا كان موزع الصحف فاحملى مايأتى به الى مكتبى دون أن تفتحيها .

فليسا : نعم يا سيدى . (تخرج متجهة الى الدهليز المؤدى الى الباب)

بالبــوا : اليس هذا هو الكتاب الذى كنت تبحث عنه؟ « آخر الاكتشافات فى عالم العمارة » ؟

ماوريثيو : لم يعد الـكتاب يهمنى . لقد قمت انا بأعظم اكتشاف .

بالبــوا : انت ؟ متى ؟

ماوريثيو : فى هذه اللحظة نفسها . لقد اكتشفت بعد حفائر كثيرة اننى اغبى من على ظهر الارض . (يقذف بالسيجارة التى اشعلها منذ لحظة ويخرج الى الحديقة مناديا) ايزابيــل !.. (الخادمة تعود) .

فليسا : انه زائر ياتى يسال عن السيد .

بالبــوا : فى مثل هذه الساعة ؟ انا لا انتظر احــدا ولست هنا من اجل احد (الخادمة تعود الى الباب لتبلغ الرسالة . «الآخر» يظهر على عتبة الباب) .

(بالبوا و «الآخر»)

الآخر : من اجلى انا .. نعم فانى لم اقم برحلة طــويلة الى هذا الحد لكى اجد باب ذلك البيت موصدا فى وجهى .

بالبــوا : بأى حق تدخل هكذا فى بيتى ؟ دعينا وحدنا يا فليسا (الخادمة تخــرج . بالبوا يضىء النور) من انت ؟

الآخر : (يتقدم الى الأمام خطوات . يقذف بقبعتــه على أحد الـكراسى) اترانى تغيرت الى هــذا الحد خلال هذه السنوات العشرين الماضية ؟

بالبــوا : (جامــد الحراك وفى صــوت مختنق) : ماوريثيو !..

الآخر : لست ارى ان الأمر يقتضى مثل هذه الدهشة كما لو كنت شبحا من الأشباح . الم تتلق برقيتى التى اعلمتك فيها بسفرى ؟

بالبــوا : مستحيل !.. ان «الساتورنيا» قد غــرقت فى عرض البحر بكل ركابها !

بالبوا : ما الذى تريد الآن ؟

الآخر : لقد ذكرت لك منذ البدء كل ما يمكننى المطالبة به . ولكنى مازلت متواضعا فى الطلب . وسوف اكتفى بقدر من حقوقى . فى كلمة واحدة يا جدى : اريد نقودا .

بالبوا : كان هذا ما توقعت . كم ؟

الآخر : هذا اسوأ ما فى الموضوع : اذ اننى لن استطيع مهما اسعفنى ذلك ان اعرض عليك ثمنا فى حدود التعامل بين اصدقاء (تاركا فجاة اللهجة الساخرة التى ظل يتحدث بها حتى ذلك الوقت) اننى فى ورطة شديدة . اتعرف ؟ لا مع الشرطة فقد تعودت على مثل هذه المواقف . وانما الورطة الآن مع زملاء المهنة ، وهؤلاء لا يرحمون .

بالبوا : لم اطلب اليك تفسيرا ولا تبريرا . وانما سألتك : كم ؟

الآخر : ايبدو لك كثيرا ان اطلب مائتى الف ؟

بالبوا : اجننت ؟ من اين تظننى قادرا على ان آتيك بهذا المبلغ ؟

الآخر : لم اكن انتظر بطبيعة الحال ان يكون المبلغ فى جيبك الآن . ولكن فى وسعك ان تجده ودون ان تذهب بعيدا .. دون ان تخرج من هنا . اذا لم اخطىء التقدير فالبيت وحده يساوى ضعف هذا المبلغ .

بالبوا : البيت ؟ اتريدنى ان ابيع هذا البيت ؟

الآخر : هو اكبر مما يتطلبه عجوزان وحيدان .

بالبوا : وهل وصلت انت الى حد عدم التورع عن الالقاء بنا الى عرض الطريق ؟

الآخر : (فى لهجة تفيض بالحقد) : الم تلق انت بى الى عرض الطريق منذ عشرين سنة ؟ انى مازلت اذكر ذلك اليوم الذى صفقت فيه الباب بعد طردى . وكثيرا ما كنت اشعر حتى اليوم بوقع اصابعك هنا عندما صفعتنى على وجهى وكأنه لهيب محرق . لقد كانت هذه اول مرة وآخر مرة يجرؤ فيها انسان على رفع يده على وجهى .

بالبوا : هذا هو ما اتى بك الآن ! .. اليس كذلك ؟ ما احسن ما افهمك الآن ! ليس طلب النقود وحده الذى جاء بك، وانما هو الرغبة العارمة المسعورة فى الانتقام والكراهية .

الآخر : هذا شىء يعتبر موضعا للمناقشة . ولكن ليس لدى وقت لذلك الآن . اريد هذا المبلغ غدا بغير ابطاء . اتفقنا على ذلك ؟

بالبوا : لا غدا ولا فى اى وقت .

الآخر : ترو فى الامر يا جدى . اما من اجلى فانا اعرف اننى لا اهمك فى شىء . ولكن تذكر ان لك اسما محترما وسمعة لم تلحقها شائبة . ايعجبك ان ترى اسمك مكتوبا

بالخط العريض على صفحات الفضائح فى الصحف وفى بطاقات اقسام الشرطة ؟

بالبوا : لا استطيع .. حتى ولو أردت فانى اقسم لك انى لا استطيع .

الآخر : لست استغرب هذا منك . فأنا اعرف ما كان يكلفك دائما من عناء فتح خزانة الحديد .. لكن هناك من لا يمكن ان يتركنى اموت ميتة غبية فى عرض الطريق بينما فى وسعى أن انقذ حياتى . اين الجدة ؟

بالبوا : لا ! الجدة .. لا ! . سأقترض من اصدقائى سأجمع كل ما استطيع جمعه .. خذ كل مالدينا من اسهم وسندات ، خذ الحلى ..

الآخر : اسمع . انى لم آت هنا لكى استجدى صدقة . وانما لأطالب بما هو من حقى .. وانت تعلم ان الجدة لن تكون من القسوة بحيث تنكر على ماجئت اطلب . لماذا لاتريد أن اتحدث انا اليها ؟

بالبوا : اسمع يا ماوريشيو . كن رحيم القلب .. ان الجدة لا تعرف شيئا عن حياتك الحقيقية . ان ذلك الصبى المجنون الذى خرج من هذا البيت منذ عشرين سنة قد أصبح بالنسبة لها رجلا سعيدا يعود الى بيت أهله الآن محملا بطيب الذكريات .

الآخر : آه .. هى اذن اقصوصة من تلك التى تروى على الأطفال ليستخلصوا منها عظة وعبرة !

.. أسوا ما فى الموضوع انى قد تجاوزت السن التى كانت تسمح بأن تعجبنى امثال هذه الأقاصيص . اين الجدة ؟ (يتقدم .. الجدة يعترضه قاطعا عليه الطريق) .

بالبوا : قدر انه يمكن ان تدمر كل شيء فى لحظة واحدة .

الآخر : ليس لدى وقت اضيعه . ابتعد عن طريقى .

بالبوا : لا ! لن أدعك تمر من هنا !

الآخر : (يقبض على ذراعيه بشدة) لا اظنك قد فكرت فى رفع يدك على مرة اخرى . فذلك كان سهلا بالنسبة لطفل . اما ازاء رجل فالأمر ليس سواء . ابتعد عن طريقى . قلت لك ! (يدفع به عن طريقه دفعة عنيفة وينادى فى صوت عال) جدتى ! (يظهر ماوريشيو فى الشرفة ، فيتقدم فى عزم وتصميم وقد بدا على وجهه تعبير عن غضب شديد مكتوم) .

(المذكورون وماوريشيو ، ثم الجدة وايزابيل)

ماوريشيو : بلا صياح ! حينما يكون الرجل مستعدا لكل شيء فانه لا يصيح . اخرج من هذا البيت معى .

الآخر : هل استطيع ان اعرف من انت ؟

ماوريشيو : ستعرف فيما بعد . ان الجدة ستدخل الآن من ذلك الباب ، فاسمع ما اقوله لك جيدا .

اذا نطقت امامها بكلمة .. بكلمة واحدة فسأقتلك !

الآخر : تقتلني انا ؟..

ماوريشيو : (دون أن يدع له فرصة الاستمرار) اقسم بكل مقدس لدى انني لن اتردد في قتلك هنا وفي نفس اللحظة التي تفتح فيها فمك .. (تسمع ضحكات الجدة وايزابيل في الخارج وهما في طريقهما الى المسرح) هس ! .. (تدخلان معا) .

الجـدة : انى في حياتي لم اسمع بمثل هذا الهراء . ايمكن ان تكوني الى هذا الحد من الغباوة ؟ أتقولين ان هذا الضوء الأخضر الخافت الذى يصدر عن الفراش في الليل .. آه معذرة . كنت اظنكما وحدكما .

ماوريشيو : لا . كل ما هناك ان هذا السيد لم يكن يعرف طريقه جيدا ، فأخطأ في البيت . (في لهجة ذات مغـــزى) سـأرافقه لـكى أدله على الطريق . (يتقدم الى البـــاب ويناديه من هناك) لنذهب ؟ !

الآخر : (يتقدم في تصميم) لنذهب !

ايزابيل : (وقد تملكها شعور غامض من الخوف ازاء ماتكشف عنه لهجة الرجلين من تحد ونذير بشر) ماوريشيو ! (الآخر يلتفت اليها وقد

أدهشه ان تناديه باسمه . يدقق النظر بعد ذلك في ماوريشيو وايزابيل) .

ماوريشيو : هى لحظة واحدة يا ايزابيل . وسأعود في الحال . من هنا .. (الآخر يتردد قليلا ثم يشرع في السير بعد أن يحنى رأسه قليلا) .

الآخر : معذرة يا سيدتى .. (يتبـــع ماوريشيو . ايزابيل والجدة تظــــلان جامدتى الحراك تتبعانهما بأبصارهما وهما خارجان) .

ستــار

المنظر الثانى

(فى نفس مكان المنظر السابق ، الوقت : اليوم التالى لأحداث المنظر الاول . فىالركن صندوق ثياب مفتوح . على المائدة حقيبة وملاءات بيض . ايزابيل تطبق الملاءات فى صمت . خينوفيفا تنتهى من ترتيب الأشياء والأمتعة) .

(ايزابيل وخينوفيفا)

خينوفيفا : الأحذية فى قاع الصندوق . اليس كذلك ؟

ايزابيل : (فى شرود ذهن) : نعم . فى القاع .

خينوفيفا : والفساتين . اهى مطبقة جيدا هكذا ؟

ايزابيل : لا بأس .. بأى شكل .. فالكل سواء .

خينوفيفا : لا . ليس سواء . فانت ادرى منى بالطريقة التى ينبغى ان تطبق بها الملابس ، فأنا لم اسافر فى حياتى قط . هكذا ؟

ايزابيل : (دون ان تنظر) نعم ، هكذا . (خينوفيفا تزفر فى استسلام وتقفل الصندوق . تسمع دقات الساعة من الطابق العلوى ..

ايزابيل ترفع بصرها الى السقف متسمعة . اربع دقات)

خينوفيفا : من اجلك انت بحق الله . قولى شيئا . الا ترين ان الصمت اسوا »

ايزابيل : وما الذى استطيع ان اقول ؟

خينوفيفا : اى شىء ، حتى ولو كان غير ذى موضوع .. كما يفعل المرء حينما يمر بمكان مظلم فيبدا فى الغناء . فان هذا الصمت يجعلنى اشعر كاننا فى مأتم .

ايزابيل : ان ما نحن فيه لا يخلو من شىء مما ذكرت . كم فستانا وضعت فى هذا الصندوق ؟

خينوفيفا : سبعة .

ايزابيل : سبعة فساتين يمكن ان تتمثل فيها حياة كاملة : الفاتح للصباح الباكر ، لرى الزهور ، والأزرق الذى لبسته ساعة كنت القى بالأحجار الى صفحة النهر ، والآخر الذى كنت أرتديه فى تلك الليلة الساهرة التى احترق فيها المفرش بشرارة انطلقت من سيجارة .. والآن ها هى الفساتين قد تراكم بعضها على بعض ، هناك فى قاع صندوق ، لم تعد هنا ليال ساهرة .. ولا زهور .. ولا نهر . نعم يا خينوفيفا . اناعداد الأمتعة للرحيل شىء اشبه مايكون بمأتم .

خينوفيفا : ان الألم ليس هو مايحس به الراحلون .

فانتما ستعودان الى بيتكما وبلادكما والحياة امامكما ممتدة مشرقة . اما السيدة ..

ايزابيل : هل تحدثت اليها ؟

خينوفيفا : لا انا ولا غيرى . انها ملازمة لغرفتها دون ان تحرك يدا ولا تفتح فما .

ايزابيل : ولـكن .. ما علة هذا الصمت المطبق كانما هى غاضبة من شيء او محتجة على تصرف . لقد كانت تعلم ان هذه اللحظة سوف تصل آجلا او عاجلا . فهل هذا ذنبى ؟

خينوفيفا : الذنب هو ذنب الوقت الذى يمر دائما على غير مانهوى . فانا اذكر انه حينما كانت باخرتكما فى طريقها الى الوصول ان كل لحظة كانت تمر على هذا البيت كانت تبدو قرنا كاملا . « الاثنين ! .. ياخينوفيفا .. الاثنين ! » . ولـكن هذا الاثنين كان يبدو انه لن يصل ابدا اما الآن .. فمتى مضى هذا اليوم ؟ وكيف مر الآخر ؟ .. والذى يليه ؟.. لقد كانت امى كثيرا ماتقول : « هناك ساعة خاصـــة للانتظار وســـاعة اخرى للوداع ، وساعة الانتظار متأخرة دائما » . (تنزلق من بين يديها بعض المناديل) اعذرينى . لست اعرف ماذا حل بيدى اليوم .

ايزابيل : بل على العكس يا خينوفيفا . شكرا .

خينوفيفا : شكرا لمـاذا ؟

ايزابيل : لا .. لا شيء .. امور من شانى انا ! (يصل ماوريثيو من الخارج وقـد بدا عليه الهم والقلق) .

خينوفيفا : سأعود الى غسل هذه المناديل ، مازال هناك وقت لـكى تجف (تخرج نحـو المطبخ . ايزابيل تتوجه فى فروغ صبـر الى حيث وقف ماوريثيو)

(ايزابيل وماوريثيو)

ايزابيل : هل هناك امل فى اصلاح الأمور ؟

ماوريثيو : على الاطلاق . كل ما كان يمكن عرضه عليـه قد عرضناه فعلا ، بلا نتيجة . وفى خـلال لحظات سيقدم هو نفسه بالكلمة الأخيرة .

ايزابيل : وهل ستسمح له بدخول هذا البيت ؟

ماوريثيو : لسوء الحظ هذا البيت هو بيته . لقـــد حاولنا بكل الطرق معـه : بالمنطق وبالرجاء وبالتهديد فلم يكن لـكل ذلك جدوى .. ان هذا الرجل قدم مستعدا لـكل شيء ، ولن يتراجع عما عزم عليه .

ايزابيل : معنى هذا أن كل ما قمنا به سوف يتحطم فى دقيقة واحدة ، ونحن سنكتفى بالتفرج على مايحدث مكتوفى الأيدى ؟

ماوريثيو : لن يجدينا شيء كون ألحق معنا ، اذ أنه اتانا بشيئين اقوى من كل مامعنا : القوة والحقيقة.

ايزابيل : اننى فى دهشة من امرك حتى انى ابدو الآن كما لو لم اكن اعرفك من قبل . حينما كنت انصت اليك فى اول يوم كنت تبدو لى كأنك مروض معجزات يحمل فى يده الوانا جديدة من السحر . لم يكن هنـــاك قبيح لم تكن قادرا على تجميله ، ولا حقيقة محزنة تعجز عن السخرية منها بالاعيب الخيال . ولهـذا مضيت وراءك مغمضة العينين . والآن تطرق بابك حقيقـــة ليس فيها ولا حتى مايميز الحقائق من عظمة ، فاذا بك تقف امامها بلا حراك .. مقيد اليدين والقدمين .

ماوريثيو : وما الذى كان بوسعى ان افعـل ؟ حينمـا انكشفت اللعبة اصبـــح فى يده كل اوراق اللعب . وهو الآن غير محتاج حتى الى الطلب بل فى مقدوره ان يقوم بتهديدنا حتى يبتز مايريد فى هدوء واطمئنان . اما نحن فلا امل لنا فى حل يا ايزابيل .. لا امل !

ايزابيل : مازلت تستطيع ان تقوم بخدمة من اجل هذا البيت .. الخدمة الأخـــيرة : اعترف انت بنفسك للجدة بالحقيقة كلها .

ماوريثيو : وما الذى نكسبه من ذلك ؟

ايزابيل : انه سيكون بمثابة نزع الغشاوة عن معصوب العينين . يمكن لك على الأقل ان تفعل هذا برفق .. قليلا قليلا ، وقد افرغت روحـك كلها فى أصابع يدك . ولا تسمح له هو بأن ينزع الغشاوة فى قسوة مؤلمة .

ماوريثيو : لا استطيع . لن تكون لدى الشجاعة الكافية لست اريد ان ارى الجرح الذى اعنت انا على فتحه والذى لم اعد قادرا على شفائه . لنذهب من هنا بأسرع ما نستطيع !

ايزابيل : الى بيتك الهادىء المريح ؟ لكى نعود الى المتعة باختراع احلام مذهبة يستيقظ منها النـاس بعد ذلك على هذه الصورة ؟ لا يا ماوريثيو . اذهب انت وحدك .

ماوريثيو : لا أظنك فكرت فى الاقامة هنا الى الأبد !

ايزابيل : ليتنى استطيع ! غـير انى لا اريد كذلك ان اخرج من هذه الحياة الزائفة التى اخترعناها نحن لـكى اعود معك الى حياة اخرى لا تقل زيفا عن هذه .

ماوريثيو : الى أين اذن ؟ اتنوين الرجوع الى حيـــاتك السابقة ؟

ايزابيل : ربما بدا هذا شيئا غير معقول . ولـكن هذا هو الدرس العظيم الذى تعلمته هنا .. ان الغرفة التى كنت آوى اليها كانت ضيقـــة فقيرة ، غـــير انها كانت تكفينى ، وما كنت بحاجة الى خير منها . كان البرد يتسرب من خلال زجاجها ، ولكنه كان بردا نظيفا يلف جسدى كأنه ثوب منزلى مألوف . لم تكن فى نوافذها ورود ، بل زهرات متواضعة بائسة يغطيها التراب ، ولـكن كل ذلك كان على قـدرى أنا : لا نقص ولا زيادة ، ثم انه كان ملـــكا

خالصا لى وحدى : كانت الزهرات زهراتى ، والبرد بردى ، والفقر كذلك فقرى !..

ماوريثيو : والى هذا البؤس تنوين العودة الآن ؟ لا .. لن تفعلى ذلك .

ايزابيل : ومن الذى سيحول بينى وبين الرجوع ؟

ماوريثيو : انا ؟

ايزابيل : انت ؟ اسمع الآن لم يعـد هناك استاذ وتلميذة . لنتحدث لأول مرة حديث الند للند ، وسأروى لك قصتى كما لو كانت قصة شخص آخر حتى تراها بمزيد من الوضوح. فى يوم من الأيام اخرجت فتاة وحيدة من عالمها وحملت الى عالم آخر عجيب رائع ، كل ما لم يقدر لها فى حياتها الأولى قط وجدته فجأة فى تلك الحياة الجديدة : اسرة وبيتا تحفه الأشجار ، وحبا منحها اياه زوج حديث عهد بالزفاف. كل ذلك لم يكن بطبيعة الحال الا تمثيلية احسن حبكها . ولكنها لم تكن تعرف « أن النسب فى الفن هى كل شىء » فأساءت التقدير واندمجت فى دورها أكثر مما ينبغى . فاذا بذلك الذى كان يجب أن يعتبر خشبة مسرح يتحول الى بيت حقيقى ، واذا بها اذ كانت تنادى «جدتى» لا تردد كلمة قد حفظتها وانما كانت صيحة نافذة من اعماق نفسها ومن اغوار حياتها . بل انه حتى عندما كان زوجها المزيف يقبلها

اذا بنبضها يرتجف فى نشوة . سبعة ايام كانت مدة هذا الحلم وها انت ترى النتيجة : الآن أنا اعرف ان وحدتى ستكون اقسى ، وزهرات نافذتى ستكون اكثر بؤسا ، وبردى اشد وطأة ، غير ان كل ذلك ليس الا حقيقة حياتى .. حقيقتى الوحيدة .. ولست اريد أن اعود ابدا الى ان استسلم للأحلام حتى لا اضطر بعد ذلك الى ان استيقظ على مرارة الحقيقة . اعذرنى اذا كنت ابدو لك ظالمة .

ماوريثيو : لا . لست ظالمة الا بقدر .. لماذا تصرين على التفكير فى أن هذه القصة هى قصتك انت وحدك ؟ الا يمكن ان تكون قصتنا نحن الاثنين ؟

ايزابيل : ما الذى تريد قوله بذلك ؟

ماوريثيو : اننى كنت فى حاجة كذلك الى هذا البيت حتى اكتشف حقيقتى . بالأمس لم اكن قد عرفت بعد ماهو لون عينيك . اتريدين ان اقول لك الآن اى لون تتخذانه فى كل ساعة من ساعات النهار ، وكيف يتغير نورهما حينما تفتحين النافذة او تنظرين الى المدفأة ، وحينما اصل وحينما اذهب ؟

ايزابيل : ماوريثيو !

ماوريثيو : سبع ليال كنت خلالها أحس بك من وراء باب غرفتى . لم تكونى لى ولكن كان يعجبنى ان اسمع تنفسك تحت سقف يضمنا نحن

الاثنين . ومازال الأمر كذلك حتى اصبح تنفسك بالنسبة لى عادة متكررة . والآن لست اعرف الا شيئا واحدا : هو انى لم اعد استطيع العيش بدونه . انا اريده قريبا منى والى نهاية حياتى .. على وسادتى ، فى بيتك او فى بيتى ، فهذا لا اهمية له ، فأى منهما يمكن ان يكون بيتنا المشترك ولأترك لك الاختيار !

ايزابيل : ماوريثيو ! (يرتمى بين ذراعيه)

ماوريثيو : مارتا – ايزابيل !.. حقيقتى الوحيدة ! (يقبلها قبلة طويلة ، يسمع جرس الباب الخارجى ، يتبادلان نظرات مذعورة وهما لايزالان متعانقين . يعود الجرس الى الدق فى الحاح وفروغ صبر) . هاهو ذا قد جاء. (يهم بالخروج للقاء القادم . توقفه هى) .

ايزابيل : انت لا . دعنى وحدى معه .

ماوريثيو : هل جننت ؟ (تمر الخادمة فى طريقها لفتح الباب) .

ايزابيل : ربما استطاعت امراة ان تبلغ منه ما لم تبلغه انت . اتركنى ! (يتبادلان قبلة .. هذه المرة بسرعة) .

ماوريثيو : سأكون على مقربة منك .

ايزابيل : لا تخف فأنا الآن استمد قوتى منا نحن الاثنين . (ماوريثيو يخرج الى الحديقة .. الخادمة تعود) .

فليسا : هو نفس الرجل الذى جاء امس . انه يسأل عن السيدة .

ايزابيل : قولى له ان يدخل . (الخادمة تهم بتنفيذ الأمر . ولكن الآخر يظهر على عتبة الباب).

فليسا : لاداعى لذلك . يبدو ان هذه هى عادته (الآخر يأمر الخادمة بالخروج باشارة من يده . ثم يتقدم نحو ايزابيل فيستعرضها بنظره من راسها الى قدميها) .

(ايزابيل والآخر)

الآخر : زوجتى المزيفة . أليس كذلك ؟

ايزابيل : زوجتك المزيفة .

الآخر : تشرفت بمعرفتك . انهم على الأقل لم يسيئوا الاختيار .

ايزابيل : شكرا .

الآخر : انا اعرف تفاصيل المظاهرة الضخمة التى قمتم بتنظيمها هنا : الرسائل ، والزواج السعيد ، ومدى ما أوقعه كل ذلك فى نفس الجدة . خرافة جميلة لا ينقصها شىء ، حتى العبرة التى تستخلص منها فى النهاية، كما هو الأمر فىالقصص التى تحكى للأطفال. من المؤسف ان تنتهى على هذا النحو الغبى !

ايزابيل : ولكنها لم تنته بعد .

الآخر : من ناحيتى اذا كنتم تريدون الاستمرار فيها فانتم تعرفون الثمن .

ايزابيل : ولكنه ثمن باهظ الى حد لا يمكن قبوله : بيع هذا البيت بثمن خاسر .. هذا البيت وهو الشيء الوحيد الذى بقى لهذين العجوزين لكى يموتا فى سلام .

الآخر : وانا كذلك يمكن ان اسقط قتيلا على ناصية اى شارع اذا عدت الى اصدقائى خالى اليدين . انهم لا يقدرون الخرافات حق قدرها ، ولكنهم يعرفون كيف يسددون اطلاق الرصاص .

ايزابيل : هل هذه هى كلمتك الاخيرة ؟

الآخر : مرة ثانية ؟ ان خطيبك طلب منى مساء الأمس مهلة يوم لكى تتدبروا الأمر . وقد منحته هذه المهلة التى تنتهى الآن . ولتكف المماطلة هل النقود حاضرة أم لا ؟

ايزابيل : انت تعرف مثلى انا تماما ان جمع هذا المبلغ مستحيل .

الآخر : سنرى الآن ما اذا كان مستحيلا او ممكنا . أظن انكم حبستم العجوز فى غرفتها . أليس كذلك ؟ لا تتعبى نفسك ، فانا اعرف الطريق (يتقدم فتسد ايزابيل عليه الطريق)

ايزابيل : مكانك ! ولا خطوة أخرى .

الآخر : انى انبهك الى انه لم تتمكن من ايقافى أبدا النساء اللاتى يهبن انفسهن ، أما اللاتى

يستخدمن طرق التهديد فهن اولى بأن يكن اقل قدرة . تنحى عن طريقى !

ايزابيل : انشدك بكل ما هو عزيز عليك . فكر فى الامر قبل ان يفوت الأوان . اتعرف ان كلمة واحدة منك قد تكون كافية لقتل هذه المراة .

الآخر : لا . ليس الى هذا الحد .

ايزابيل : بل هو كذلك لسوء الحظ . ان هذا الوهم هو الذى يمدها بالحياة . وضربة مثل هذه التى تنوى أنت تسديدها يمكن ان تكون فيها نهايتها .

الآخر : الى هذا الحد تهمك حياة تلك المراة ؟

ايزابيل : أكثر مما تهمنى حياتى انا .

الآخر : اذن لماذا نضيع الوقت هكذا ؟ فى وسعنا أن نبحث المسألة على الوجه الذى يعجبنى انا : أى باعتباره صفقة كلانا فيها رابح . مائتا ألف تساويها حياة الجدة . مبلغ زهيد أليس كذلك ؟

ايزابيل : سافل ! (تتقدم نحوه وقد تقبضت يدها فى غضب وكأنها تهم بضربه . فى هذه اللحظة يفتح الباب الأيسر وتظهر الجدة) .

(الآخر وايزابيل والجدة)

الجدة : ما الذى يحدث هنا يا ايزابيل ؟

ايزابيل : (تجرى الى جوارها) جدتى !..

الجـدة : اذا لم أكن مخطئة فان السيد هو نفسه الذى كان هنا فى ليلة الأمس . (تتقدم خطوات نحوه) اتبحث عن احد فى هذا البيت ؟

ايزابيل : لا يا جدتى . انه كان يهم بالانصراف الآن ، (تنظر اليه فى رجاء واستعطاف) الم تكن عازما الآن على الانصراف ياسيدى ؟

الآخر : لم اقم بهذه الرحلة الطويلة لـكى اعود الآن خاوى اليدين .

ايزابيل : هو كذاب . لا تنصتى اليه يا جـدتى .. لا تصغى الى ما يقول .

الجـدة : ولكن هل جننت ؟ اى طريقة هى هـذه فى استقبال ضيف زائر ؟ اعذرها يا سيـدى فانها متوترة الأعصاب بعض الشىء . واتركينا الآن وحـدنا ، فانه يبدو لى أن لدى السـيد شيئا مهما يود أن يفضى الى به .

ايزابيل : لا . لا تستمعى اليه . وسأحدثك أنا عنه بعد، فيما بيننا نحن الاثنتين .

الجـدة : (فى لهجة آمرة صارمة) كفى يا ايزابيل . اخرجى الى الحديقة ولا تعودى بأى عذر حتى أناديك أنا . أفهمت ؟ لا تعودى بأى عذر ودعينا الآن وحدنا . (ايزابيل تخرج بسرعة وهى تغطى وجههـا بكفيها . لحظـة صمت . تنظر الجدة طويلا الى الرجل الغريب ثم تتقدم نحوه فى خطوات ثابتة هادئة) .

(الجدة والآخر)

الجـدة : يبدو أن الأمر الذى اتى بك خطير (تجلس) أتتفضل بالجلوس ؟

الآخر : لا ، شكرا . كلمات قليلة تكفى لشرحه .

الجـدة : اذن فقد قمت برحلة طويلة لا لغرض الا من أجل الحديث معى ؟ ومن اين قدمت ؟

الآخر : من كندا .

الجـدة : بلد جميل . ان حفيدى قد وصل من هناك أيضا منذ عدة ايام . هل تعود حفيدى ؟

الآخر : نعم ، أعرفه معرفة وثيقة ، بل خيرا ممـا تعرفينه أنت نفسك بكثير .

الجـدة : جائز ، فقد افترقنا منذ وقت طويل ! حينما خرج من هذا البيت ..

الآخر : (مقاطعا) : حينما طردوه بغير وجه حق .

الجـدة : تماما . حينما طرده الجد من هـذا البيت كنت خائفة منه ، فقد كان مجنونا متهورا ، ولكنى كنت واثقـة من طيبـة قلبـه .. كنت أعـرف أنه كان يكفيـه أن يذكرنى انا حتى يحجم عن ارتكاب مايمكن ان يندم عليه فيما بعد . وهكذا كان ، ثم اتتنى بعـد ذلك رسائله ، وانباء حياته الجديدة ، واخيرا اتى هو بنفسه .

الآخر : انى أعرف القصة . ولكن الذى لا أجد له

تفسيرا هو : كيف استطعت ابتلاع هـــذه الخرافة وقد بلغت من العمر ما بلغت ؟

الجـدة : لا افهم ما تعنى .

الآخر : قولى لى ياسيدتى : الم يخطر ببالك ابدا ان تلك الرسائل ربما كانت زائفة ؟

الجـدة : زائفة ؟.. الرسائل ..

الآخر : (فى قسوة جارحة) كل شىء ! الرســائل ، وتلك الخرافة المضحكة .. حتى حفيدك هذا بلحمه ودمه .. زائف ايضا . هل عدت عمياء ام انت تصطنعين اغلاق عينيك ؟

الجـدة : (تنهض من مقعدها) ولكن .. ما الذى تريد التعريض به ؟.. ان هذا الفتى المرح السعيد الذى يعيش تحت سقف بيتى ليس حفيدى؟ ان حفيدى الحقيقى .. آخر قطرة من دمى. هو هذا النذل التعس الذى يقف الآن امامى ؟ اكان هذا هو ما اتيت لتقوله لى يا ماوريشيو ؟

الآخر : جدتى ! ..

الجـدة : ومن اجل ايقاع هذه الضربة بامراة عجــوز مسكينة كان عليك ان تعبر كل تلك البحار ؟ يمكنك ان تكون فخورا بما فعلت . هى مأثرة لا ينهض بها الا رجل حق الرجولة !

الآخر : النهاية .. اذن كنت تعرفين سر الخدعة ومع ذلك اشتركت فى تلك التمثيلية المضحكة ؟

الجـدة : لا . لم اكن اعرف شيئا حتى ليلة امس .. اللحظة التى رايتك فيها هنا كانت هى التى فتحت عينى فجاة . ثم لم يكلفنى حمل الجد على الاعتراف جهدا كبيرا . كانت صـدمة بالغة القسوة والمرارة حتى ان احشائى كانت تتلوى وانا احاول ان ارفض تصديق الحقيقة! ولم يعد هناك لدى الا امل واحد : « على الأقل .. لن يجرؤ امامى ! » .. كنت انتظر حتى اللحظة الأخيرة كلمة طيبة .. لفتة تدل على ان للرحمة والبر سبيلا الى قلبك ... ترددا على الأقل قبل مواجهتى بالحقيقة .. اى شىء يمكن ان اتشبث به متخذة اياه حجة من أجل الغفران لك !.. ولكن .. لا .. لقد اتبت فى غير تردد لكى تلوث جرحى وتدميه بيديك القذرتين .. وفى اكثر المواضـــع ايلاما !

الآخر : لم اكن استطيع ان افعل شيئا آخر يا جدتى .. انا فى حاجة الى هذه النقود حتى اتمكن من الابقاء على جلدى .

الجـدة : انا اعرف الرقم الذى تريد ، فقد سمعته منـذ لحظة من فمك انت : « مائتـــا الف تساويها حياة الجدة » . لا يا ماوريشيو ، ان حياتى أرخص من ان تساوى هذا المبلغ !.. لو أنك قدمت تائبا نادما فانى كنت اعطيها كلها لقاء دمعة واحدة منك . ولـكن .. فات وقت البكاء . ما الذى تنتظر الآن ؟ لســت

مستعدة لدفع قرش واحد ثمنا لذلك الجلد الذى لم يودع فيه شىء منى .

الآخر : اذن فهل انت عازمة على تركى أموت فى عرض الطريق كأننى كلب مسعور ؟

الجدة : اليس هذا هو شريعتك انت ؟ كن على الأقل من عزة النفس بحيث تنصاع للقانون الذى شرعت .

الآخر : (فى حشرجة ناطقة بالجزع واليأس) : تذكرى ان هذا الموقف ربما لم يؤد فقط الى ان يقتلونى ، بل لعلى اكون انا مضطرا الى القتل!

الجدة : نشدتك الله يا ماوريثيو . كفى ! اذا كانت قد بقيت فى نفسك بقية من رجولة واذا كنت تود حتى الآن أن تفعل شيئا من اجلى فاخرج من هذا البيت الآن .. الآن .. حالا !

الآخر : الى هذا الحد يؤذيك وجودى ؟

الجدة : لست أحتملك ولا لحظة واحدة بعد الآن . الا ترى أننى أوشك على الانهيار ؟ وأن ركبتى لا تكاد أن تحملانى ؟ ولست أريد ان اسقط الى الأرض امامك أنت ! ... اخرج من بيتى! .. اخرج ! ...

الآخر : سيقع ذنبى على راسك انت !

الجدة : اخرج ! (الآخر وقد ارتسم على وجهه تعبير عن اليأس المجنون يخرج فى عنف . الجدة منهارة القوى تتهالك على كرسي وهى تزفر

فى عمق) جبان ! .. جبان ! .. (لحظة صمت . يدخل بالبوا ويسرع اليها محاولا مواساتها) ..

بالبوا : ايوخينيا .. المسكينة ! .. الم اقل لك ان الموقف سيكون أشد مما يمكن لقواك ان تحتمل ؟

الجدة : (تتمالك نفسها) ولكنك ترى الآن كيف استطعت التحمل . ان الموقف الموجع قد مضى وانتهى ، ولكن الأسوأ من ذلك هو الأثر الذى يترك .. هو الألم الذى يزحف بعد ذلك فى صمت لكى يسد عليك المنافذ فى بطء .. قليلا قليلا ، ولكنى قد تعودت الآن على ذلك . فأنا والألم صديقان قديمان متلازمان (تتجلد وتحاول اتخاذ مظهرطبيعى) ظن انالأولاد لم يسمعوا شيئا . اليسكذلك؟

بالبوا : الا تنوين ان تقصى عليهما ما حدث ؟

الجدة : مستحيل ! انى ادين لهما بخير أيام حياتى . وعلى انا الآن ان افعل شيئا من اجلهما (تنهض وتنادى بصوت مرتفع) ماوريثيو ! ايزابيل !

بالبوا : ولكن من اين لك بالقوة الكافية لاحتمال الحديث معهما ؟

الجدة : انه آخر يوم يا فرناندو . ولست اريد ان يريانى منهارة محطمة . لأكن ميتة من داخل نفسى ، ولكن متماسكة واقفة على رجلى ..

كما تموت الأشجار ! (يدخل ماوريثيو وايزابيل)

(بالبوا والجدة وايزابيل وماوريثيو)

الجدة : مالى ارى وجوها علاها الحزن ! ؟ سيكون لديكم وقت لذلك غدا .

ايزابيل : هل انصرف ذلك الرجل ؟

الجدة : نعم . الآن . يا له من شخص غريب ! يقول انه قام برحلة طويلة من اجل التحدث الى ، ثم اذا به ينظر الى طويلا فى صمت ، ثم يمضى فى سبيله كما اتى ..

ماوريثيو : دون ان يتكلم ؟

الجدة : كان يبدو عليه انه يهم ان يقول شىء ذى خطر . ولكنه تعثر فجاة وخانته الألفاظ ، ثم عجز عن مواصلة الكلام .

ايزابيل : ولم يقل شيئا ؟ ولا كلمة على الأقل ؟

الجدة : كلمة واحدة : سامحينى ! اتفهمين شيئا ؟. لابد ان يكون مجنونا قد اطلق سراحه . هل اغلقت الحقائب ؟

ايزابيل : مازال لدينا وقت .

الجدة : (متوجهة الى زوجها) اقطع لهما فرع شجرة السرو المتدلى من النافذة ، فانه سيعجبهما ان يحتفظا به للذكرى . (بالبوا يصعد السلالم ببطء) آه ! تركيب الشراب الذى طلبت منى صنعته ، فانا اخشى ان ننساه فى آخر لحظة . هل معك قلم وورق ؟

ماوريثيو : نعم يا جدتى (يخرج من جيبه قلما وورقة ويسلمهما لايزابيل ، فتجلس الى المائدة وتشرع فى كتابة ماتمليه الجدة) .

الجدة : سجلى يا بنتى . ولنر كيف يتهيأ لك صنعه . فان كل نساء هذا البيت قد قمن باعداد هذا الشراب ووفقن فى صنعه . سجلى : ماء مقطر وقدر يعادله من الكحول (فى صوت ودود) متى تقوم الطائرة ؟

ماوريثيو : فى فجر الغد .

الجدة : ... الغد !.. (مواصلة املاءها لايزابيل) عصير زبيب : ربع ، وكلما كان زبيبا حلوا كلما كان خيرا . (تعود الى اللهجة الودودة) ستمضين فى مراسلتى يا ايزابيل .. اليس كذلك ؟

ايزابيل : نعم يا جدتى .. دائما ، دائما .

الجـدة : ما اشد رغبتى فى النظر الى الغابات الكثيفة وعربات الانزلاق على الجليد .. (تواصل الاملاء) زلال بيضتين مضروب بعناية ... (تتجه اليهما مرة اخرى) .. وغدا حينما تنجبان ولدا .. ولدا ! (تظل لحظة وهى ساهمة شاردة البال . ايزابيل فى انفعال عنيف تسقط القلم من يدها وتغطى وجهها بذراعها . ماوريثيو يضغط كتفيها فى صمت ثم يعيد اليها القلم) .. قشرة برتقالة مرة ، شديدة المرارة .. قشرة يابسة من القرفة لاعطاء نكهة طيبة .. قطرتان من ماء الورد .

ستار

رقم الايداع بدار الكتب
٣٠٦٩ / ١٩٦٩

ملتزم التوزيع
فى الجمهورية العربية المتحدة وجميع انحاء العالم
الشركة القومية للتوزيع

مكتبات الشركة بالجمهورية العربية المتحدة

١ ــ فرع ثروت	٣٦ شارع ثروت	تليفون [illegible]	القاهرة
٢ ــ فرع ٢٦ يوليو	١٩ شارع ٢٦ يوليو	[illegible]	القاهرة
٣ ــ فرع ميدان عرابى	٥ ميدان عرابى	[illegible]	القاهرة
٤ ــ فرع [illegible]	١٣ شارع محمد عز العرب	[illegible]	القاهرة
٥ ــ فرع [illegible]	[illegible]	[illegible]	القاهرة
٦ ــ فرع [illegible]	[illegible]	[illegible]	القاهرة
٧ ــ فرع [illegible]	ميدان [illegible]		القاهرة
٨ ــ فرع الجيزة	١ ميدان الجيزة	[illegible]	القاهرة
٩ ــ فرع أسوان	السوق السياحى	[illegible]	أسوان
١٠ ــ فرع الاسكندرية	٤٩ ش سعد زغلول	[illegible]	الاسكندرية
١١ ــ فرع طنطا	ميدان الساعة	[illegible]	طنطا
١٢ ــ فرع المنصورة	ميدان [illegible]		المنصورة
١٣ ــ فرع أسيوط	شارع [illegible]		أسيوط

مراكز ووكلاء الشركة خارج الجمهورية العربية المتحدة

١ ــ مركز توزيع الجزائر	شارع [illegible]	الجزائر
٢ ــ مركز توزيع [illegible]	شارع دمشق	بغداد
٣ ــ مركز توزيع [illegible]	ميدان [illegible]	[illegible]
٤ ــ [illegible]	شارع [illegible] ــ دمشق	سوريا
٥ ــ الشركة العربية للتوزيع	ص . ب رقم [illegible] بيروت	لبنان
٦ ــ [illegible]	مكتبة [illegible]	العراق
٧ ــ [illegible]	وكالة التوزيع ــ عمان	الأردن
٨ ــ [illegible]	[illegible] ص . ب [illegible]	الكويت
٩ ــ وكالة [illegible]	الكويت	[illegible]
١٠ ــ مكتب [illegible]	شارع [illegible] ــ ليبيا	بنغازى
١١ ــ [illegible]	[illegible]	طرابلس
١٢ ــ الشركة [illegible] للتوزيع		تونس
١٣ ــ وكالة [illegible]	شارع [illegible]	[illegible]
١٤ ــ المكتبة [illegible]	[illegible]	البحرين
١٥ ــ مكتبة [illegible]	ص . ب [illegible]	[illegible]
١٦ ــ [illegible]	المكتبة [illegible] ص . ب [illegible]	دبى
١٧ ــ المكتبة [illegible]	ص . ب [illegible]	مسقط
١٨ ــ [illegible]	المكتبة [illegible] ص . ب [illegible]	[illegible]
١٩ ــ مكتبة [illegible]	شارع [illegible]	[illegible]
٢٠ ــ [illegible]	ص . ب [illegible]	أسمرة
٢١ ــ [illegible]	ص . ب [illegible]	أديس ابابا
٢٢ ــ مكتبة [illegible]	ص . ب [illegible]	[illegible]
٢٣ ــ [illegible]	ص . ب [illegible]	[illegible]
٢٤ ــ مكتب توزيع [illegible] العربية	[illegible]	[illegible]
٢٥ ــ المكتب التجارى [illegible]	[illegible] ص . ب [illegible]	[illegible]
٢٦ ــ مكتبة [illegible]		[illegible]
٢٧ ــ مكتبة [illegible]		[illegible]
٢٨ ــ [illegible]	ص . ب رقم [illegible]	[illegible]
٢٩ ــ [illegible]	مكتبة [illegible] ص . ب [illegible]	[illegible]
٣٠ ــ [illegible]	مكتبة [illegible] ص . ب [illegible]	[illegible]
٣١ ــ [illegible]	المكتبة الوطنية ص [illegible]	[illegible]
٣٢ ــ [illegible]	ص . ب [illegible]	[illegible]

أسعار البيع للجمهور فى الدول العربية

[illegible]

الأشجار تموت واقفة
تاليف : اليخاندرو كاسونا

ان المسرح الاسبانى لم يشهد فى تاريخه الحديث مؤلفا ابعـد صيتا خارج حدود بلده ولا اكثر عالمية من اليخاندروكاسونا ، فكثير من اعماله قد ترجم الى اكثر من عشر لغات واطلع عليها جمهور المسرحفى العالم كله من موسكو الى بوينـوس ايرس ، ومن هلسنكى الى جوهانسبرج ومن اثينا الى ريو دى جانيرو حتى اصـبح خير سفير للفن المسرحى الاسبانى فى خارج العالم الناطق باللغة الاسبانية .

بلغ انحلال الأدب المسرحى ذروته فى سنة ١٨٩٨ بعد الحرب غير المتـكافئة التى نشبت بين اسبانيا والولايات المتحدة . وارتفعت أصوات المفكرين تنادى باعادة النظر فى تاريخ اسبانيا لمعرفة الأسباب التى أدت بالبلاد الى ذلك الانحلال .. وضرب الكتاب فى هذا الميدان بسهم ، وظهر جيل جديد معروف بجيل سنة ١٨٩٨ ينادى باعادة النظر فى كل القيم الأدبية والفنية وترتب على ذلك نهضة فنية لها اعتبارها ، نهضة نابعـة من الالم والحيرة والقلق والتشاؤم والمرارة .. وهنا تبرز فى عالم المسرح شخصيتان .. فيديريكو غرسيه لوركا واليخاندرو كاسونا ..

ومسرح كاسونا يقوم على المزاوجة بين عالم الواقع وعالم العقل البـاطن واسرار النفس . وابطاله ناس عاديون ممن يتخبطون فى عالم الواقع ولكنهم فى عالم العقل الباطن والنفس يحققون مالا يتيسر لهم ومن هنا أدى التزاوج فى مسرح كاسونا الى السـمو بالحياة اليومية المبتذلة دون الركون الى تهاويل الخرافة أو افاق الخيال .. متحررا من قيود البيئة فهو اذن يتناول حياة الانسان ، فى كل مكان وزمان مؤمنا بالخير وبالقيم الايجابية .

وقد عرضت مسرحية ـ الأشجار تموت واقفة ـ لأول مرة سنة ١٩٤٩ فى الارجنتين وهى أكثر أعمال كاسونا انتشارا ونجاحا على مستوى النطاق العالمى وترجمت الى لغات كثيرة منها الانجليزية والفرنسية والبرتغالية والايطالية والالمانية والهولندية والفنلنـدية واليوغوسلافية والروسية والتشيكوسلوفاكية واليونانية والبولونية ..